جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

قضايا إسلامية
سلسلة تصدر
غرة كل شهر عربى

الإسلام ومستقبل الحوار الحضارى

العدد (١٥)

القاهرة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

قضايا إسلامية
سلسلة تصدر
غرة كل شهر عربي

الإسلام ومستقبل الحوار الحضاري

العدد [١٥]

جمادى الأولى ١٤١٧ هـ . سبتمبر ١٩٩٦ م

يشرف على إصدارها

الدكتور محمود حمدي زقزوق

وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الدكتور / محمد إبراهيم الفيومي

أمين عام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

للأستاذ الدكتور / محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

لم يعد فى مقدور أى شعب فى عالمنا المعاصر أن يعزل نفسه عما يدور حوله فى العالم من أحداث وتطورات على جميع المستويات . فقد أصبح العالم - كما هو معروف - بمثابة قرية كونية كبيرة يعتمد فيها كل على الآخر بشكل من الأشكال . ومن هنا أضحى التعايش بين الشعوب والتعاون فيما بينها ضرورة لا مفر منها وأمراً حتمياً لا فكاك منه إذا أريد حماية هذا العالم من الانهيار والدمار .

وإذا كان الأمر كذلك فإن العالم فى أشد الحاجة إلى أسلوب جديد للتعامل بين الناس من مختلف الأجناس والحضارات . فقد جرب الإنسان على مدى تاريخ البشرية الطويل كل الأساليب التى كانت تهدف إلى سيطرة القوى على الضعيف واستعباده من أجل رفاهية القوى . وعلى الرغم من أن بعض القوى العظمى لا تزال تمارس إلى حد ما هذا الدور بشكل أو بآخر فإن الضمير العالمى بدأ يستيقظ

وينفر من الممارسات غير الإنسانية ، وإن كان ذلك لا يزال فى بعض الأحيان مجرد استنكار لا يترجم إلى واقع عملى .

إن عالمنا الذى يستعد الآن لدخول القرن الواحد والعشرين لبدء مرحلة جديدة فى تاريخ البشرية مطالب بنبذ كل الأساليب البالية فى التعامل بين الشعوب ، والاتجاه إلى استخدام أسلوب آخر يتناسب مع المرحلة الجديدة ، ألا وهو أسلوب الحوار الحضارى بكل ما يحمل هذا التعبير من معنى ، بهدف الوصول إلى سلام حقيقى وتعايش إيجابى وتعاون بناء بين الشعوب من أجل خير الإنسان أينما كان وأنى كان .

ومن المعلوم لكل دارس للإسلام أنه كان منذ البداية سباقاً إلى الدعوة إلى الحوار من أجل خير الإنسان وسعادته . فالناس جميعاً ينتمون إلى أصل واحد ، ولكن الله جعلهم شعوباً وقبائل لا من أجل أن يتشاحنوا ويتباغضوا ولكن من أجل أن يتعارفوا ويتآلفوا :

« يٰأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » .

---

(١) الحجرات : ١٣

كما اهتم الإسلام أيضاً بالحوار بين الأديان لما للدين من تأثير عميق فى النفوس .

ومن هنا أردنا أن تكون كل هذه المعانى منطلقاً للمؤتمر العام الثامن للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، فكان موضوعه :

« الإسلام ومستقبل الحوار الحضارى »

وقد ناقش المؤتمر هذا الموضوع الهام من خلال أربعة محاور أساسية هى :

(١) حوار أم صراع ؟ .
(٢) الحوار بين الأديان .
(٣) الحوار والتطرف .
(٤) الإسلام والتعايش بين البشر .

وقد شهدت جلسات المؤتمر حوارات بناءة ونقاشات ثرية عكست تطلعات العالم إلى السلام والأمن والاستقرار والتعايش الإيجابى والتعاون المثمر بين الشعوب ، كما أدانت بشكل قاطع كل أشكال التطرف والتعصب والعنف والإرهاب وترويع الآمنين وقتل الأبرياء .

ونظراً لأهمية هذا المؤتمر الذى شهد مشاركات إيجابية فعالة من أكثر من سبعين دولة بالإضافة إلى عدد من المنظمات الدولية وبعض الشخصيات الهامة التى شاركت لأول مرة فى مؤتمرات المجلس الأعلى

للشئون الإسلامية مثل المستشار الألمانى السابق هلموت شميت . فقد أردنا أن يتسع نطاق المستفيدين من هذا المؤتمر وما دار فيه وما انتهى إليه ، وذلك بنشر جانب هام من أعمال المؤتمر ليشمل قطاعات عريضة من القراء ممن لم تتح لهم فرصة متابعة أعمال المؤتمر .

والكتاب الذى يسرنا أن نقدمه اليوم إلى القارئ الكريم يشتمل على الكلمات التى ألقيت فى الجلسة الافتتاحية للمؤتمر ، والمحاضرات العامة الأربعة حول محاور المؤتمر ، وبيان القاهرة ، والتوصيات التى صدرت عن المؤتمر ، وفى وقت لاحق سيقوم المجلس بإذن الله بنشر جميع أعمال المؤتمر ، وسوف تترجم أيضاً إلى الإنجليزية والفرنسية .

ونسأل الله أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن تعم به الفائدة ويتحقق به الهدف فى حفز الأفراد والجماعات فى كل مكان إلى العمل التضامنى من أجل سلام هذا العالم الذى هو سلامنا جميعاً .

أ . د محمود حمدى زقزوق

تقديم
للأستاذ الدكتور / عبد الصبور مرزوق

الإمام الأكبر شيخ الأزهر الموقر

قداسة البابا شنودة الثالـــث

الأستاذ الدكتور محمود زقزوق وزير الأوقاف ورئيس المجلس

الإخوة الأعزاء ضيوف مصر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وأهلاً بكم فى هذا اللقاء الكريم على أرض مصر الطيبة ، وبسم الله نبدأ

بسم الله الرحمن الرحيم « **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله** »(١) .

نعم لا نفرق بين أحد من رسله هذه عقيدتنا وعقيدة كل المسلمين فى كل أنحاء العالم لأن شرط صحة الإيمان للمسلم أن يؤمن بجميع أنبياء الله ورسله كما قررت الآية . ومن ثم لا يكون مؤمناً بمحمد صلوات الله عليه من لم يؤمن بموسى وعيسى وغيرهما من رسل الله .

أما خصوصيتنا نحن أبناء مصر فلها مع رسل الله وأنبيائه تاريخ وتاريخ .

---

(١) البقرة : ٢٨٥ .

تاريخ تودد ومحبة وعلاقة طيبة منذ تزوج أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام وتزوج خاتم الأنبياء محمد - صلى الله عليه وسلم - بابنتين من بنات مصر ، كانت الأولى هى السيدة هاجر أم إسماعيل عليه السلام وكانت الثانية هى السيدة مارية القبطية التى أهداها المقوقس عظيم القبط فى مصر إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ولم تكن مجرد هدية وإنما كانت رسالة حوار قديم عريق فى القدم بين المسيحية والإسلام تلقاها الإسلام بالقبول الحسن ووضعها فى مكانها حيث قال القرآن الكريم عن النصارى :

« ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون » (١) . .

ومضى استقبال مصر لرسل الله ، فعاش على أرضها يوسف - عليه السلام - ، ووجد فيها من التمكين ما يسجله التاريخ ، وولد وعاش على أرضها موسى - عليه السلام - ، وكان له مع فراعنتها تاريخ وتاريخ ، ثم جاءت العائلة المقدسة السيد المسيح والسيدة العذراء البتول مريم - عليهما السلام - فوجدوا فى مصر المكان الآمن والمحضن الدافئ لرسالة المسيح - عليه السلام - التى أخذت مكانتها فى مصر فى تودد ومحبة ، وقبول ، ثم شرقت فى أرض الله وغربت حتى اليوم منذ مكنت لها مصر ووقفت تدافع عنها وتحميها من أى اضطهاد .

---

(١) المائدة : ٨٢ .

وإذا كان التاريخ لا ينسى أن عمرو بن العاص فاتح مصر من قبل الإسلام هو الذى سافر إلى الاسكندرية ليستقبل البابا بنيامين ويؤمنه بعد أن كان فاراً من اضطهاد من كانوا يشاركونه فى العقيدة .

فإن التاريخ يذكر قبل ذلك أن محمداً صلوات الله وسلامه عليه هو الذى أشار على أصحابه فى الهجرة الأولى أن يتجهوا إلى الحبشة لأن بها ملكاً يعبد الله ويخشاه - يعنى النجاشى - الذى كان على دين المسيح ، وما لذلك من دلالة على ما بين الإسلام وبين رسل الله أجمعين من أواصر القربى والرّحم فهم جميعاً كما تحدث الرسول « أبوهم واحد وأمهاتهم شتى » .

ومن هنا فصدور الدعوة إلى الحوار بين الأديان من أرض مصر هو الحصاد الطبيعى لهذه الخصوصية الحضارية لمصر التى تحتضن لقاءكم اليوم سائلة الله أن يكتب لكم المزيد من التوفيق والسداد ، وأن يكون لقاء اليوم فاتحة لقاءات متكررة تقتربون فيها أكثر وأكثر من جذور المشكلات لتصححوا الأخطاء ، وتعالجوا القضايا ، وتؤكدوا للعالم الذى يلحظ بعين الاهتمام اجتماعكم أن الاستمساك برسالات السماء هو وحده طوق نجاة العالم مما يتهدده اليوم من أخطار ، وأنه وحده سفينة العالم إلى شاطئ الخلاص والسلام .

والله يحفظكم .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...»

كلمة السيد الرئيس

محمد حسنى مبارك

رئيس الجمهورية

ألقاها نيابة عن سيادته

الأستاذ الدكتور

محمود حمدى زقزوق

وزير الأوقاف

ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
السيدات والسادة
ضيوف مصر الكرام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..،

يسعدنى أن أرحب بكم ضيوفاً أعزاء على أرض مصر المؤمنة التى احتضنت معظم رسالات السماء إلى الناس منذ إبراهيم وموسى وعيسى وخاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

مصر التى أرادها الله أن تكون البلد الآمن ، فتحدث عنها فى القرآن الكريم بقوله :

« ادخلوا مصرَ إن شاء الله آمنين »(١) .

الأخوة الأعزاء ضيوف مصر الكرام :

أرحب بكم على أرض مصر التى كانت منذ فجر التاريخ مهد الحضارة والمعرفة ، وكان يحج إليها طلاب المعرفة فى الزمن القديم من فلاسفة اليونان أمثال : " طاليس " و « أفلاطون »

---

(١) يوسف : ٩٩ .

ممن جاءوا يدرسون الحكمة على يد رهبانها ، وبقيت آثارها - إلى اليوم - شاهداً على عظمة إنسانها القديم ، الذى اتجه إلى البناء والتعمير لا إلى التخريب والتدمير .

ولولا الأمن الذى عاشته مصر كما أراد الله لها ، لما استطاعت أن تبنى حضارتها العظيمة ولا أن تكون فى طليعة الشعوب التى راحت تبحث عن جوهر الدين .

فأهلاً ومرحباً بكم فى مصر التى على أرضها تحاورت الأديان وتحاورت المعتقدات وتفاعلت الحضارات منذ آلاف السنين ، والتى ارتبط تاريخها منذ أكثر من ألف عام بالأزهر الشريف الذى ينشر تعاليم الإسلام السمحة فى غير تعصب أو انغلاق . ولا تزال مصر حتى اليوم وكالعهد بها دائماً تعيش فى ظل سماحة الأديان وإخاء الإنسان .

ولا تزال بلداً يسعى إلى السلم والسلام القائم على العدل ويمد يده لكل شعوب الدنيا متعاونا بلا حدود من أجل خير الإنسان .

وليس هناك شك فى أن لقاءكم التاريخى فى القاهرة فى المؤتمر العام الثامن للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية يعد فرصة تاريخية لتبادل الرأى حول مستقبل الحوار الحضارى ويشكل إسهاما كبيراً فى إثراء هذا الحوار من أجل مستقبل مشرق للبشرية جمعاء .

وغنى عن البيان أننا نعيش الآن فى عالم تتشابك فيه المصالح بدرجة لم يسبق لها مثيل ، وأضحى العالم مثل قرية كونية كبيرة يعتمد فيها كل على الأخر بأية صورة من الصور .

وبات أى حدث يجرى فى أى مكان من العالم يكون له صداه وتأثيره بشكل أو بآخر فى كل أركان الدنيا .

ومن هنا فإنه لم يعد هناك مكان للانعزال فنحن الآن فى مرحلة لا مفر فيها من التعامل مع الآخرين بصرف النظر عن اتجاهاتهم وأفكارهم ومعتقداتهم .

الإخوة الأعزاء ضيوف مصر الكرام :

وعلى الرغم من كل ما يجتاح العالم اليوم من صراعات دموية وأعمال عنف مختلفة ومشكلات صعبة على جميع المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية ، وما يمكن أن يسببه ذلك كله من شعور الكثيرين من محبى السلام والداعين إليه بالإحباط واليأس ، فإن هناك مؤشرات لا يمكن تجاهلها تشير إلى أن العالم قد سئم الحروب والمنازعات ، وأنه متجه بشكل أو بآخر إلى السلام ، وأن السلام سوف يفرض نفسه فى نهاية الأمر ، وأن القرن الواحد والعشرين سوف يشهد تحولات هامة على جميع المستويات .

لكن السلام المنشود ليس من الأمور التى تأتى بطريقة تلقائية ، وإنما يحتاج إلى توفر إرادة السلام وصدق النوايا وتكاتف كل الجهود من أجل الوصول إلى التفهم الكامل والاحترام المتبادل والتعاون المشترك بين كل الشعوب . وهذه أمور لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق الحوار .

فالحوار هو لغة المستقبل ، والسلام هدف مشترك لكل بنى البشر . ولن يتحقق السلام بين الشعوب إلا إذا كان هناك سلام بين الأديان لما للدين من تأثير عميق فى النفوس ، ولن يكون هناك سلام بين الأديان إذا لم يكن هناك حوار جاد وموضوعى ومنصف بين أتباع هذه الأديان .

والسلام - كما نعتقد جميعاً - إنما هو ضرورة حياتية ، والحياة بدون سلام حياة فارغة لا معنى لها . ولا نعدو قول الحق إذا قلنا إن السلام فى حقيقته أصبح ضرورياً للحياة مثلما أن الهواء ضرورى للتنفس .

وقد دعا الإسلام منذ نشأته إلى الحوار والتعايش بين البشر والدخول فى السلم ونبذ العنف والتطرف والإرهاب . وقد كانت دعوته إلى الحوار بين الأديان دعوة صريحة وواضحة فى القرآن الكريم حيث يقول :

« قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله »(١) .

كما دعا الإسلام أيضاً إلى ضرورة أن يكون الحوار بالأسلوب الهادئ المتعقل والنظرة الموضوعية للأمور ، وشدد القرآن على ذلك فى قوله :

« ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن » (٢) .

---

(١) آل عمران : ٦٤ .

(٢) العنكبوت : ٤٦ .

وقد نبه القرآن الكريم إلى حقيقة أن الناس جميعاً قد خلقوا من نفس واحدة ، وأن الكرامة التى منحها الله للإنسان تشمل كل إنسان فى كل زمان ومكان ، ومن هذا المنطلق كانت دعوة الإسلام إلى الفهم المتبادل والاحترام المتبادل والتعاون المشترك بين البشر جميعاً . وقد نظر الإسلام إلى الإنسانية لا بوصفها مفهوماً مجرداً يحوم فى سماء التجريدات ولا صلة له بالواقع ، بل نظر إلى الإنسانية بوصفها تمثل مجموع البشر الذين يعيشون معاً على أرض الواقع . ومن هنا فإن الاعتداء على فرد واحد من أفراد البشر يعد اعتداء على البشرية كلها ، وفى المقابل فإن من يقدم الخير لفرد واحد فكأنه قدم الخير للبشرية كلها .

وإذا كان الأمر كذلك فإن الإنسان الذى يبحث عن السلام ينبغى أن يبحث عنه لنفسه وللآخرين فى الوقت نفسه الذين ينتمون إلى نفس الأسرة الإنسانية التى هو جزء منها أراد أم لم يــرد .

الإخوة الأعزاء ضيوف مصر :

إن السلام الذى نسعى جميعاً إليه يتعلق بوحدة الوجود الإنسانى كما يتعلق أيضاً بتعددية هذا الوجود . فهو من ناحية بوصفه هدفا يوحد أعمق المشاعر والجهود الإنسانية الساعية إلى تحقيقه . ومن ناحية أخرى فإن تعددية المجتمعات البشرية لا يجوز أن تكون عائقاً أمام توحيد هذه الجهود .

فالتعددية - فى نظر الإسلام - أمر واقع وملموس ، ولكنها بدلا من أن تكون مجالاً للخلاف والنزاع ينبغى أن تفتح الطريق أمام وحدة الهدف المشترك والجهود المشتركة من أجل السلام .

ويشير القرآن إلى هذا المعنى بوضوح فى قوله :

« يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا »(١).

والتعارف هنا إنما هو حوار بين هذه الشعوب المختلفة . وبهذا فهو اللغة الحضارية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ، أما استخدام السلاح أو العنف لغة للتخاطب بين البشر فإنما هو أداة بربرية تعادى الحضارة والتقدم وترد الإنسان إلى عصور ما قبل التاريخ .

ولابد لنا ونحن على أعتاب القرن الحادى والعشرين من أن نراجع أنفسنا جيداً وأن نستعد لدخول هذا القرن بفكر جديد وتوجهات جديدة .

ومن هنا دعت الحاجة إلى أن يكون موضوع مؤتمركم هذا العام هو :

(الإسلام ومستقبل الحوار الحضارى)

ونحن على يقين من أن مناقشاتكم البناءة وحواراتكم الهادفة سيكون لها أثرها فى تنبيه الأذهان ولفت الأنظار إلى أهمية القضايا المطروحة للبحث . وهذا فى حد ذاته أمر له أهميته

---

(١) سورة الحجرات : ١٣ .

بالنسبة لكل فرد من أفراد البشرية فى أى مكان فى العالم . وأنتم هنا تمثلون هذا العالم . ونحن جميعاً - أردنا أم لم نرد - نشترك في مصير واحد .

وقد شبه نبى الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم المصير البشرى كله من خلال مثال معبر عما نحن فيه الآن فى عالمنا المعاصر أبلغ تعبير . وفى هذا المثال يصور النبى الناس جميعاً كما لو أنهم يستقلون سفينة فى عرض البحر .

وقد توزع الركاب فى أنحائها فاستقر بعضهم فى أعلاها والبعض الآخر فى أسفلها . وكان الذين فى أسفلها إذا أرادوا الحصول على الماء صعدوا إلى أعلى السفينة وأحضروا الماء . وحين رأوا أنهم قد تعبوا من الصعود والهبوط والمرور على الركاب فى أعلى السفينة قرروا إحداث خرق فى أسفلها يأخذون منه حاجاتهم من الماء ويوفرون على أنفسهم مشقة الصعود والهبوط .

ويقول نبى الإسلام إن ركاب السفينة إذا تركوهم يفعلون ما يشاءون فسيكون نتيجة ذلك غرق السفينة وهلاك الجميع . ولكن لو تم منعهم مما أرادوا فإن ذلك سيكون سبباً فى نجاتهم جميعاً . فالمصير البشرى مصير مشترك ، ولم يعد فى استطاعة أحد أن يقف مما يجرى فى العالم اليوم من حروب وصراعات بدون اهتمام وبلا مبالاة لأن عاقبة ذلك سترتد عليه بشكل أو بآخر . فلا مفر أمام الإنسانية من أن تسعى جاهدة نحو السلام الذى يضمن لها الأمن والاستقرار .

الإخوة الأعزاء ضيوف مصر :

إن على مؤتمركم هذا أن يؤكد للعالم أجمع أن الحوار هو اللغة الحضارية الوحيدة التى يمكن أن تؤدى إلى التفاهم والتعاون والعمل البناء من أجل خير الإنسان ، وأن الحروب لا يمكن أن تحل المشكلات بل على العكس من ذلك تزيدها تعقيداً بوضعها العقبات تلو العقبات فى طريق السلام .

وعلى مؤتمركم أن يبين أن الحوار الحضارى هو الأساس فى التعامل بين البشر وأن الصراع أمر طارئ لا ينبغى أن يكون هو القاعدة ، وأن يؤكد أن رسالة الأديان هى رسالة المحبة والسلام ، وأنه لا يجوز إساءة استخدام الأديان بجعلها أداة للصراع وغرس الأحقاد فى النفوس ، فإن ذلك يعد جرماً فى حق الأديان وفى حق البشرية جمعاء .

الإخوة الأعزاء

لقد شاركتم فى المؤتمر العام السابع للمجلس الذى كان موضوعه :

(عطاء الأديان لخدمة الإنسان)

فليكن مؤتمركم هذا دعوة قوية للإنسان فى كل مكان كى ينهض بدوره فى خدمة قضايا السلام ، والتمكين فى أرض الله لقيم الحق والعدل والتعايش البناء بين الإنسان والإنسان .

إن الحوار المنشود لن يحقق نتائجه إلا إذا تجرد الإنسان من أنانيته ، وأيقن أن الكون الفسيح يمكن أن يسع الجميع إذا خلصت النوايا ، وتضافرت الجهود لبناء عالم يختفى منه العنف وتصان فيه الدماء وتتوقف النزاعات والحروب .

فليكن مؤتمركم علامة على الطريق تقود صناع القرار إلى ما فيه خير البشرية وتعينهم على الخروج بالعالم من أزمته الراهنة وتعبيد الطرق للخلاص الآمن من المخاوف والأخطار .

والله وحده الهادى إلى سواء السبيل .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كلمــــة

فضيلة الإمام الأكبر

الدكتور / محمد سيد طنطاوى

شيخ الأزهر الشريف

الإخوه الفضلاء والأخوات الفضليات - قداسة البابا شنودة الثالث ، فضيلة الأخ الكريم الأستاذ الدكتور / محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

لا أكون مبالغاً إذا قلت : إن ألفاظ اللغة العربية على اتساعها وعلى غناها لا تكفى للتعبير عما يحس به الإنسان عندما يجلس بين شيوخه وإخوانه وأبنائه لا من أجل متعة فانية ولا من أجل شهوة زائفة وإنما نتجمع جميعاً من أجل خدمة ديننا وأمتنا ، نتجمع من أجل اعتناق الفضائل ، واجتناب الرذائل ، نتجمع جميعاً لكى نتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان .

وإذا كانت المجالس تشرف بمقاصدها وبغاياتها فإن مجلسكم هذا له أعلى وأسمى ألوان الشرف والكرامة ، اجتمعنا جميعاً من أجل أن نساهم فى بناء حضارة فاضلة ، وقد أعجبنى أن يكون موضوع هذا المؤتمر الثامن للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية أن يكون هذا الموضوع « **الإسلام ومستقبل الحوار الحضارى** » .

أصارحكم القول بأن هذا الموضوع من الموضوعات الهامة التى لفتت نظرى منذ مدة طويلة وعندما أرجع إلى القرآن الكريم فى أكثر من ألف وسبعمائة مرة كان هناك حوار متنوع نقرأ القرآن الكريم نجد حواراً حول وحدانية الله عز وجل ، ونجد حواراً حول اليوم الآخر ، نجد حواراً حول القرآن الكريم ، نجد حواراً مع المنافقين ، نجد حواراً يدور بين أهل الجنة وأهل النار ، وحواراً مع الملائكة ، نجد حواراً بين العقلاء فيما بينهم ، نجد حواراً يدور بين الأشرار فيما بينهم ، نجد كل ذلك بألفاظ قالوا قل يقولون وهكذا - تحدث القرآن الكريم عن هذا الحوار المتنوع فى مئات من الآيات القرآنية ، على سبيل المثال لا نجد سورة من سور القرآن الكريم حتى من قصار المفصل إلا وتحدثت بألفاظ صريحة عن اليوم الآخر وما فيه من ثواب وما فيه من عقاب ، وحكت أقوال المنكرين وردّت عليهم بأسلوب يقنع العقول والعواطف الشريفة ، وجاء معظم الحديث بلفظ قالوا ، كما فى قوله عز وجل :

« وقالوا أءذا كنا عظاماً ورفاتاً أءنا لمبعوثون خلقاً جديداً » (١) .

ويلقن القرآن الكريم النبى - صلى الله عليه وسلام - الجواب الذى يخرس ألسنتهم فيقول :

« قل كونوا حجارةً أو حديداً أو خلقاً مما يكبرُ فى صدوركم فسيقولون من يعيدنا » (٢) .

---

(١) سورة الإسراء : ٤٩ .
(٢) سورة الإسراء : ٥٠ ، ٥١ .

يرد عليهم القرآن بهذا الأسلوب الحوارى البليغ المؤثر :

« وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال : من يحيى العظام وهى رميم ، قل يحييها الذى أنشأها أول مرة » (١) .

وهكذا نجد القرآن الكريم يسوق لنا فى مئات من الآيات ألواناً من المحاورات التى دارت بين الرسل عليهم الصلاة والسلام وبين أقوامهم ، محاورات دارت بين سيدنا نوح وبين قومه وجميع الرسل جاءوا برسالة واحدة هى إخلاص العبادة للواحد القهار ، وكل نبى كانت الكلمة الأولى التى يوجهها إلى قومه

« يا قومِ اعْبدوا الله ما لكم من إلهٍ غيره » (٢) .

يمكث سيدنا نوح عليه السلام فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يجادل قومه ويحاورهم ويقول كما حكى القرآن الكريم عنه :

« ربِّ إنى دَعَوْتُ قومى ليلاً ونهاراً فلم يزدهم دعائى إلا فراراً » (٣) .

ويجادلهم بأسلوب منطقى رصين ولكنهم يقولون له كما حكى القرآن :

« يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين » (٤) .

---

(١) سورة يس : ٧٨ - ٧٩ . (٢) سورة هود : ٥٠ .

(٣) نوح : ٥ ، ٦ . (٤) هود : ٣٢ .

نجد سيدنا هوداً عليه السلام ينصح قومه بألوان من النصائح وبألوان من المحاورات :

« ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين » ، يردون عليه بسفاهة **« يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركى ألهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين إن نقول إلا اعتراك بعض ألهتنا بسوء »**(١) .

وانظروا إلى الغرور عندما يستقر فى النفوس **« إن نقول إلا اعتراك بعض ألهتنا »** وليس جميع آلهتهم يصفون نبيهم ومرشدهم بأن آلهتهم الصماء هى التى أصابته بالجنون أو ما يشبه الجنون .

نجد محاورات متعددة يسوق لنا القرآن الكريم ألواناً منها على لسان الرسل الكرام مع الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - مع أقوامهم .

سيدنا شعيب وهو خطيب الأنبياء يدعو قومه إلى وحدانية الله ويأمرهم بإيفاء المكيال والميزان ويقول لهم

« بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين ، وما أنا عليكم بحفيظ »(٢) .

---

(١) سورة هود : ٥٢ - ٥٤ .

(٢) هود : ٨٦ .

ثم تراهم يردون عليه هذا الرد القبيح يقولون له :

« قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفاً ، ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز »(١) .

وهنا يرد عليهم بقوة وشجاعة كما حكى القرآن الكريم

« يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظِهْرِيّاً »(٢) .

ويستمر فى المحاورات مئات الآيات يحكيها لنا القرآن الكريم يسوق لنا كيف حاور الرسل أقوامهم ، كيف حاور سيدنا إبراهيم أباه بهذا الأسلوب المؤثر البليغ

« واذْكُرْ فى الكتاب إبراهيم إنه كان صدِّيقاً نبياً إذا قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً ، يأبت إنى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطاً سوياً ، يأبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا ، يأبت إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً » (٣) .

ويرد الأب الكافر :

« أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى ملياً »(٤) .

---

(١) هود : ٩١ . .
(٢) هود : ٩٢ .
(٣) مريم : ٤١ – ٤٥
(٤) مريم : ٤٦ .

ويرد عليه سيدنا إبراهيم كما يقول القرآن :

« **سلام عليك سأستغفر لك ربى إنه كان بى حفياً** » (١) .

الحوار مرحباً به وما أجمل الحوار عندما يكون بين العقلاء فيأتى بالخير الوفير وينتج السعادة والتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ، مرحباً بالحوار الذى يؤدى إلى رقى الأفراد ورقى الجماعات وأجمل ما يكون الحوار عندما يصدر عن لسان صادق وقلب طاهر ومشاعر نقية وعقول راجحة وقلوب لا تحمل إلا الخير والبر ، لا تعرف الحقد والحسد ، لأن الحوار يفسد عندما تستولى الأطماع والأحقاد والأهواء على النفوس . أما عندما نجد الحوار بين العقلاء كما نقرأ فى أواخر سورة الكهف فى الحوار الذى دار بين سيدنا موسى وبين الخضر نجد حوار العقلاء الأخيار والاحترام المتبادل وسلامة القلب وصدق اللسان وطهارة المشاعر وهذا هو الحوار الذى نسعى إليه .

وعندما يلتقى أخيار الأمم والمفكرون فى هذا الملتقى الكريم من أجل الحوار ، من أجل الوصول إلى الحق والفضائل والوصول إلى ما يرضى الله سبحانه وتعالى عندما نرى هذا الجمع الكريم الذى شرفت به مصر وشرف به الأزهر ووزارة الأوقاف والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، شرفنا به جميعاً

---

(١) سورة مريم : ٤٧ .

وسعدنا بكم جميعاً عندما نجد هذا اللقاء على طاعة الله نقول ما قاله الصالحون من قبلنا :

« الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله » .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..،

كلمـــة

قداسة البابا شنودة الثالث

باسم الإله الواحد الذى نعبده جميعاً أحييكم جميعاً يا إخوتى من أصحاب الفضيلة والسماحة ومن رجال الدين الإسلامى الحاضرين معنا .

أود أن أحيى أخى وصديقى فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر - وأشكر أخى وصديقى الدكتور / محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . وأمين عام المؤتمر ، ووزير الأوقاف المغربى على كلمته الطيبة النافعة .

الحوار على الأقل هو الوسيلة للوصول إلى الحقيقة والوسيلة إلى الفهم المشترك هى صلة ولون من التلاقى ، لقد كان الحوار معروفاً ، عرفه الفلاسفة للوصول إلى الحق ، كما حدث أيام سقراط وتلاميذه ويعرفه الدين المسيحى من مبدئه فى الحوار الذى كان بين السيد المسيح وتلاميذه حتى أنهم عرفوا باسم الحواريين . وهو أيضاً وسيلة للتعليم ، التعليم الذى يرتفع فوق مستوى التلقين إلى الحوار ، فيه السؤال وفيه الجواب ، وعرف الحوار بين المسلمين والمسيحيين بخاصة فى عهد الدولة الفاطمية ولا تزال المكتبات حافلة ببعض كتب عن هذا الحوار .

الحوار يكون على نوعين أحدهما هو الحوار بين متفاهمين لهم هدف واحد وفهم واحد لكنهم يتفاهمون ويتحاورون فى الوسيله التى توصل إلى هذا الغرض الواحد .

وهناك حوار آخر للتوصيل إلى التفاهم ، كل إنسان يشرح فيه رأيه بغير هجوم على الرأى الآخر وبغير خصومة وبغير اتهام . فمن خالفك فى الرأى لا تتخذه عدواً لك بل حاول أن تكسبه للتفاهم معه.

قال أحد المفكرين : قد أخالفك فى الرأى ولكنى مستعد لأن أبذل حياتى لكى تكون لك الحرية فى توضيح رأيك إذا اختلف بعض الناس وتحاوروا فليعلموا أن كل عقل له مفتاح أو عدة مفاتيح تستطيع بها الوصول إليه وسعيد هو الإنسان الذى يعرف كيف يتفاهم ويتحاور وكيف يكسب غيره إلى فكر .

وبين الأشخاص المشهورين فى تاريخ المسيحية فى هذا الحوار القديس ديديموس الضرير كان ضريراً ولكنه عرف طريقه للقراءة على الخشب البارز بل أن يعرفها برايل قبل خمسة عشر قرناً ، كان يحاور الفلاسفة الملحدين بكل أدب واحترام حتى استطاع أن يجذب كثيراً منهم إلى الايمان .

الحوار يمكن أن يبدأ فى المساحة المشتركة أى فى الأمور التى نتحد فيها معاً ، كلنا نؤمن بوجود الله ويمكننا أن نتحاور معانى الوصول إلى طريقه لإقناع الملحدين بوجود إله واحد خلق الكون كله .

كلنا نؤمن بمبادىء أخلاقية ومبادىء روحية نستطيع أن نتخذها وسيلة للحوار لكى نتعاون معاً ضد المادية والإباحية وفساد الخُلُق فى كثير من البلاد ، وندعو إلى كرم الاخلاق والنبل والفضيلة والبر فنسعد مجتمعنا ونفيد المجتمعات الأخرى .

ويمكن أن يكون مجال الحوار فى مسائل قومية ووطنية يؤمن بها الكل ويكون ذلك لسعادة الشرق الذى نعيش فيه ، وأيضاً فيما نتحاور لسنا فقط نقدم للغير فكراً ، وإنما أيضاً نقدم أمثولة عملية ونموذجاً للحياة المشتركة التى تحيا فى تعايش سلمى نقدم ليس فقط الفكر ، إنما المثال العملى الناجح .

ولكى يتم الحوار بهذا الشكل ينبغى أن يكون له العمق .

نحن قد ننادى بأننا مؤمنون لكن كلمة إيمان لها عمق عملى لا يتوقف على مجرد اللفظ فقال ذلك كلنا نؤمن بوجود الله وكلنا نؤمن بأن الله موجود فى كل مكان وهو عالم بكل شئ ، فهل الظالم يؤمن حقاً بوجود الله ، وهل الفاسق والشرير يؤمن حقاً بوجود الله ، لو كان يؤمن أن الله موجود وأنه يراه وأنه يفحص فكره وقلبه ويعرف نياته ومقاصده ما كان يخطىء أبداً إنما كان يخاف الله الذى يراه .

أحياناً الإنسان لا يرتكب الشر أمام الغير لأنه يخشى الغير ولكنه يرتكب الشر سراً أمام الله لأنه فى الواقع لا يخشى الله - خوف الله ليس فى قلبه وخشية الله ليست أمامه حين يرتكب الشر .

حينما ندعو الناس إلى الإيمان ندعوهم إلى الإيمان العملى الذى يظهر فى أعمالهم وسلوكهم وتكون حياتهم عظة للناس سهل أن يلقى الإنسان عظة ولكن الصعب أن يكون نفسه هو العظة العملية لغيره من الناس .

فى هذا الحوار أيضاً يمكن أن يسأل الإنسان مع من يتحاور ، توجد عقول قد اغلقت لا تقبل الحوار ولا تنجح فيه ، توجد عقول قد أغلقت على نفسها فى طاعة غيرها أياً كان الأمر الذى يصدر إلى هؤلاء ممن نخاطبهم .

نريد للحوار أن تتفتح العقول وأن تتفتح القلوب وأن يشترك الجميع فى فهم متبادل يوضح الإنسان فيه فكرة ويتقبل فهم الآخرين من غير خوف ، ومن هنا إذا كان الحوار فى المبادئ المشتركه بل يكون الأمر سهلاً ، وإذا كان فى مسائل فيها بعض الخلاف فحينئذ ينبغى تأمين الحوار حتى لا يخاف أحد أن يتكلم بصراحة أيضاً يقول : إن تكلمت بصراحة فماذا يكون مصيرى أمام من يؤثم فكرى أو من يجرمه أو من يحكم عليه بالكفر أو من يقيم عليه الحد .

الحوار يحتاج إلى حرية وإلى تأمين للفكر بدلاً من أن تحكم على غيرك اقنعه بفكرك فهذا أفضل .

أرجو لهذا المؤتمر أن ينجح وتباشير النجاح بادية عليه مجرد وجود مؤتمر للحوار هذا أمر جيد نشكر القائمين عليه ونرجو لهم جميعاً كل توفيق .

ونحن كمسيحيين فى هذا البلد نوافق على هذا الحوار الكامل مع إخوتنا المسلمين فى كل النواحى ونرحب لهذا الحوار ونفتح له العقل والقلب جميعاً ، ونرجو له كل النجاح ولإلهنا المجد الدائم .

شكراً ..... آميـن .

كلمة الدكتور
عبد الكبير العلوى المدغرى
وزير الأوقاف والشئون الإسلامية
بالمملكة المغربية

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر - رئيس المؤتمر
معالى وزير الأوقاف الدكتور / محمود حمدى زقزوق
أصحاب السماحة والفضيلة
حضرات السيدات والسادة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .

بسعادة غامرة نشارك اليوم فى أشغال هذا المؤتمر العام الثامن للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية المخصص لموضوع « الإسلام ومستقبل الحوار الحضارى » والمنعقد تحت رعاية فخامة الرئيس محمد حسنى مبارك حفظه الله .

وإن من حسن الطالع أن ينعقد هذا المؤتمر مع إشراقة عيد المولد النبوى الشريف ليتعرض إلى أنواره ويستمد من أسراره ويأخذ من بركاته مدداً وقوة تعيش إن شاء الله على التوفيق ، وتهدى إلى أقوم طريق .

وإننا لمعجبون أيما إعجاب بمستوى التحضير والتنظيم ومقدرون أيما تقدير الجهود السخية الخيرة التى بذلها المشرفون على إعداد هذا المؤتمر وفى مقدمتهم أخى معالى وزير الأوقاف الدكتور / محمود حمدى زقزوق الذى استطاع هو ومساعدوه بكفاءة نادرة وبما آتاهم الله من حكمة وكياسة وجدية وحزم أن يضمنوا لمؤتمرنا هذا جميع عناصر النجاح ويوفروا له كل الامكانات التى تساعد بإذن الله تعالى على التوفيق والفلاح.

وإنى باسم الوفود المشاركة فى هذا المؤتمر أعبر لهم جميعاً عن شكرنا وامتناننا على ما وجدناه من حفاوة استقبال وكرم ضيافة وعلى العناية الخاصة التى أحاطونا بها منذ حلولنا بهذا البلد السعيد والتى ترجمت بحق رعاية فخامة الرئيس محمد حسنى مبارك لمؤتمرنا جزاه الله خيرا وأطال عمره وبارك جهوده .

وإنى وإن كنت أتحدث باسم الوفود المشاركة فإنى استسمح فى التعبير عما يكنه صاحب الجلالة الحسن الثانى والشعب المغربى لفخامة الرئيس محمد حسنى مبارك وشعب مصر الشقيق من محبة وتقدير وإعزاز وإكبار واعتبار .

إن جمهورية مصر العربية مازالت ولله الحمد فى مقدمة البلدان العربية والإسلامية البانية لحضارة الإسلام ، الداعية إلى ترسيخ قواعد وأسس مجتمع الإيمان .

ولقد كان الأزهر الشريف منارا يضىء طريق هذه المسيرة وهاديا يسدد خطاها ويبلغ بها مداها .

وثارت مصر ثورتها المباركة التى احتفلنا أمس بعيدها الرابع والأربعين ، وبقى الأزهر الشريف راسخ الجذور بارزاً فى مسيرة هذه الثورة أمينا على قيم الأمة ومقدساتها محافظا لمصر على هويتها ومقومات شخصيتها وكيانها .

وإن هذا المؤتمر العام الثامن للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذى ينعقد تحت رئاسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى ليندرج فى هذا السياق العام ونعتبره وجها من وجوه هذا العمل الإسلامى الشمولى الواسع الذى ما فتئت مصر الشقيقة تضطلع به بجدارة واقتدار .

حضرات السيدات والسادة الأفاضل :

إذا كان الحوار كما عرفه بعض علماء المسيحية هو التعبير عن نمط من الوجود والعمل يأبى كل اعتزال ويعنى بالآخر فإن مولانا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد جسد الحوار على أكمل وجه وأحسنه بواسطة تلك الرسائل النبوية التى وجهها إلى ملوك زمانه تعبيزاً عن الوجود وتأسيساً للحوار البناء بين الديانات .

وكان ذلك استمداداً من القرآن الكريم الذى رسم للحوار منهجه ووضع له أسسه وقواعده فحث على التعارف بين الناس ، وحض على البر بغير المسلمين والقسط إليهم ونهى عن الاكراه فى الدين وأمر بالدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن .

ولقد خص الإسلام المسيحيين من أهل الكتاب بمزيد عناية ومهد الطريق للحوار معهم فاعتبرهم أقرب الناس إلى المؤمنين وأثنى سبحانه على سيدنا عيسى - عليه السلام - ثناء خاصا ، ومازال المسيحيون منبهرين بهذا الثناء والتكريم حتى إن بعضهم ألف عن ولادة المسيح فى القرآن وتعجب كيف لا يحتفل المسلمون بميلاد المسيح وفى كتابهم هذا الثناء العظيم عليه .

ونطل على موقف الجانب المسيحى فنجد الكنيسة قد ركزت على الحوار خصوصا فى الربع الأخير من هذا القرن . وجاء ذلك فى أعقاب المجمع المسكونى الفاتكانى الثانى الذى دعا إلى اغتنام كل الفرص التى من شأنها التقريب بين المؤمنين من مختلف الأديان .

ولم تكتف الكنيسة بالمناداة بالحوار . بل أسست لهذا الغرض هيئتين رسميتين :

الأولى : أمانة السر للعلاقات بغير المسيحيين ومقرها روما .

والهيئة الثانية : هى لجنة الحوار فى مجلس الكنائس العالمى ومقرها الدائم جنيف .

هذا إلى جانب جهود أخرى قامت بها كنائس أخرى .

إلا أن هذه الجهود لم تعط النتائج المرجوة . ولقد اعترفت الكنيسة نفسها كما جاء فى الكتاب الذى أصدرته تحت عنوان : « توجيهات فى سبيل الحوار » ، بأن حصيلة الحوار إلى الآن ضئيلة وجزئية وأن الحوار المسيحى الإسلامى مازال فى مرحلة البحث على اللغة المشتركة وطروحات واضحة وأسلوب جديد .

وفى اعتقادنا أن الحوار الإسلامى المسيحى إذا كانت له دواعٍ كثيرة ومتنوعة فإن معوقاته أيضا متعددة ومتشعبة .

منها ما هو تاريخى ويتمثل فى تلك النظرة السلبية التى ينظرها الغرب إلى الإسلام منذ أكثر من ألف عام .

ومنها ما هو سيكولوجى ويتمثل فى إصرار الجانب المسيحى إلى الآن على إجراء الحوار بلغة التبشير واستغلال فرصة الحوار لممارسة التبشير فى قلب العالم الإسلامى .

وليس هنا مجال بسط القول فى هذه المواضيع .

وحسبنا أن نؤكد أن الحوار بين الديانات وهو أساس الحوار بين الحضارات هو السبيل الأمثل لتحقيق التساكن الحضارى ورد الاعتبار للدين فى الحياة العامة للبشر وصدّ أخطار الالحاد والمادية وضمان قاعدة استقرار وطمأنينة وأمان المجتمع البشرى من خلال القيم الأخلاقية والمثل العليا .

وهذا ما سيظهر جليا من خلال البحوث القيمة التى تقدم بها إلى هذا المؤتمرنخبة من رجال العلم والفكر والتى تعبر عن الموقف الايجابى من الحوار فى هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ البشرية .

وإن مما يدخل فى هذا السياق ويؤكد الموقف الإسلامى الواضح الصريح تلك الزيارة التاريخية الشهيرة التى قام بها جلالة الملك الحسن الثانى حفظه الله وأطال عمره إلى حاضرة الفاتكان عام ١٩٨٠م ثم استقباله لقداسة البابا يوحنا بولس الثانى بعد ذلك فى الدار البيضاء فى حفل حضره أكثر من ثمانين ألفا من الشباب.

كما أن محاضر الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامى حافلة بما يعبر بأمانة عن الموقف الرسمى للدول الإسلامية بخصوص الحوار بين الإسلام وغيره من الأديان بما يؤكد وفاء هذه الدول لمنهج القرآن وإيمانها بالسلم والتعايش والتساكن بين بنى الإنسان.

ويحدونا الأمل فى اتساع دائرة الحوار لتشمل الديانات السماوية الثلاث ويؤدى إلى استتباب السلم والأمان وتركيز التوازن النفسى والفكرى فى المجتمعات البشرية وتوطيد دعائم الحضارة الإيمانية المنسجمة مع طبيعة الأشياء وضوابط الكون. وأن يكون هذا المؤتمر خطوة تتقدم بنا فى هذا السبيل.

والله ولى التوفيق ....،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..،

" بسم الله الرحمن الرحيم "

كلمة الأستاذ الدكتور / محمد إبراهيم الفيومى
الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

فضيلة الامام الاكبر الدكتور

محمد سيد طنطاوى

شيخ الأزهر

فضيلة الأستاذ الدكتور

محمود حمدى زقزوق

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

السادة أعضاء المؤتمر ..

سيداتى .. سادتى

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته .. وبعد ،

فإنه ليسر المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، ووزارة الأوقاف والأزهر الشريف وجمهورية مصر العربية : أن ينعقد المؤتمر السنوى الثامن للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية فوق أرض مصر كنانة الله فى أرضه ، وفى رحاب الأزهر الشريف

الذى يعتز بهذه المؤتمرات الإسلامية ، ويسعد باحتضان هذه اللقاءات الأخوية الهادفة التى تُدرس فيها القضايا الهامة التى تتعلق بحياة الأمة الإسلامية ، وتتصل بشئونها الدينية والاجتماعية والوطنية .

وإنها لمناسبة يطيب لنا أن نغتنمها لنرحب بكم فيها كامل الترحيب ونعبر لكم عن سرورنا بوجودكم بيننا فى هذا المؤتمر الإسلامى الهام للمساهمة بالفكر والرأى والمناقشة فى موضوع : « الاسلام ومستقبل الحوار الحضارى » ذى المحاور الأربعة لتحقيق التعاون على الخير تحقيقا لقوله تعالى :

« وتعاونوا على البر والتقوى » (١) .

سيداتى سادتى ..

لقد جاء اجتماع هذا المؤتمر وفق موضوعه : « الإسلام ومستقبل الحوار الحضارى » على أمر قد قدر، ليقدم ورقته إلى ذلك الإنسان الذى بدأ يعانى « مشكلته الدينية والانسانية على المستوى الدولى » لقد فتحت الحضارة المادية الباب واسعا لكل الرغبات والشهوات ، بعيدا عن قيود الدين ، محاولة حل لغز الكون بدون افتراض وجود الله ، وأن كل شىء يسير بحسب قوانينه الطبيعية الحتمية ، وأنه لا وجود سوى المادة والحركة .

يتزايد ، يوما بعد يوم ، ظهور عوارض ذلك الدمار الخطير الذى أصاب الإنسان الحديث فى شخصيته الفطرية ، حيث أفرغ

---

(١)سورة المائدة : ٢ .

من محتواه الدينى بفعل السعى المجنون ركضا وراء حضارة مادية خالصة ، سواء كان فى ذلك اتجاهاً ينادى بالالحاد الصريح دينا وعقيدة ، أم فى اتجاهها الآخر الذى يعترف من غير حماس بإيمان شكلى لا قيمة له ، ولا فاعلية لها فى توجيه مستقبل الإنسانية .

سيداتى سادتى ..

أخذ عمق هذه المأساة يزداد عنفاً وإيلاماً حين بدأ الإنسان يعى أنه يعانى من اختلال عميق فى الاتزان الحضارى ، لأن هذه الحضارة قد وفرت له اللذة ، ولم تُفلح فى جعله يمتلك السعادة ، وفرت له حصانة ضد الأمراض والفاقة ، وفشلت فى أن توفر له السلام الداخلى ، كما فشلت فى تحقيق درجة يؤبه لها من سلام العالم ، وما حققته فى هذا الحقل ، من سلام ضئيل ، هو سلام توازن الرعب بين الأقوياء ، وهو سلام يئن تحت وطأته مئات الملايين من البشر فى العالم الثالث المنهوبة ثرواته المهدورة كرامته .

إن إنسان الحضارة الحديثة - كما يراه قادة الإصلاح الدينى - يعيش على الصعيد الاجتماعى والدولى - بين ثلاث حروب : حرب نخوض غمارها ضد الطيش المادى والفراغ الثقافى والدينى ، وحرب يصفى حسابها من أجل السيطرة والشكل الجديد للعالم . وحرب يتأهب لإشعالها تحت ضغط مخزونه النووى وقد يكره عليها . ويعيش هو ذاته على مستوى حياته

الشخصية والداخلية ، فى حرب داخل ذاته ، وهى دائمة الاشتعال ، يحاول أن يخفف من وطأتها بالفرار من وعيه لذاته إلى خارج نفسه بوسائل المخدرات واللهو والاستغراق فى اللذات الجسدية وما إليها . لقد فشلت هذه الحضارة على صعيد الإنسان بالرغم من وعودها الشخصية وتبجحاتها الكبيرة وإمكانات نجاحها التى أتيحت لها .

سيداتى سادتى ..

أليس فى غمرة هذا الإدراك المتنامى للواقع الإنسانى البائس ووعى أبعاده ، وأخطاره المستقبلية على الإنسان ، تكون الحاجة داعيةً إلى رسالة الاديان السماوية ، لتقوم بعبء رسالتها وتقدم ورقة إصلاحها لمساعدة هذا الإنسان على أن يحل مشكلة الاختلال فى توازنه الحضارى الذى صدع ذاته وشطرها شطرين :

* شطرها الاخلاقى يتقازم .
* وشطرها المادى يتفاقم .

إن الشعور الكئيب بمستقبل الحضارة التعيس ولد عند الإنسان شعوراً بالحاجة إلى تضامن الأديان السماوية بما بينها من أخوة إنسانية وزمالة دينية أن تهب لمساعدة هذا الإنسان ملبية نداء المسئولية الكبرى أمام الله والتاريخ .

إن الهدف المنشود من تضامن الأديان السماوية ومن حوارها هو الوصول إلى أقصى درجات التعاون على تصحيح

مسار الحضارة المادية وذلك بإعادة الاعتبار الحقيقى الى القيم الدينية والفطرية فى الإنسان ، وجعل هذه الحضارة ذات ضمير أخلاقى ، ليمكن إعادة بناء الإنسان الحديث على ضوء ما بين دين أهل الكتاب من مساحات مشتركة تستهدف تعبيد الإنسان لله ، وصوغ إنسانيته صياغة متكاملة فى جميع النواحى صياغة تنعدم فيها القيود : الجهل والفقر والكفر ، وإقامة الحد الأخلاقى الفطرى النظيف الذى يمكنه من الإبداع والابتكار والسير الحثيث نحو بناء الحضارة وفق تعاليم الأديان السماوية اللائقة بالإنسان .

وبهذا تتحقق الصفة الدينية العامة وتتحقق وحدة الأخوة الإنسانية وتتأكد الزمالة الدينية . قال تعالى :

« قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون »(١) .

أيها الجمع الكريم ..

لما كان هذا المؤتمر العام الثامن للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية يعقد فى أيام مباركة تحتفل فيها الأمة الإسلامية بذكرى مولد رسول المحبة ،الرحمة المهداة للبشرية كلها ... محمد ابن عبد الله - صلوات الله عليه - يضم كوكبة من صفوة علماء الإسلام ومفكريه وجمعاً من المستشرقين الذين لهم باع كبير فى

---

(١) آل عمران : ٨٤ .

الدراسات العربية والعلوم الإسلامية ورجال الدين المسيحى فهو فرصة تاريخية مناسبة لتجديد أساليب العمل الدينى الجماعى للخروج بخطة موحدة تتوافر فيها الدقة والواقعية والرشد الحضارى .

أيها الجمع الكريم ..

ما أحرانا أن نعيد حساباتنا مع الله سبحانه وتعالى أولا ... ثم مع أنفسنا ثانيا ...ثم مع المجتمع الإنسانى فى ضوء المتغيرات الدولية المعاصرة ليحق قول الله سبحانه وتعالى :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » (١) .

وبالله التوفيــق . "

---

(١) - آل عمران : ١١٠ .

كلمـــــة

الأستاذ الدكتور/ أحمد كمال أبو المجد

وزير الاعلام الأسبق

حـــوار أم صراع؟

" بسم الله الرحمن الرحيم "

لا نستطيع أن نخوض اليوم فى قضية الحوار بين الحضارات دون أن نضع لقاءنا هذا فى إطاره الزمانى والموضوعى الصحيح لذلك أحتاج إلى أن أقدم لحديثى بمبادئ ثلاث :

ذلك أن الحديث عن الحوار حديث قديم .. والاجتماعات التى عقدت فى الشرق والغرب وفى الشمال والجنوب لإدارة هذا الحوار قد صارت اليوم تعد بالمئات . وكثير منها موفق وأكثرما دار فيها مسجل ومحفوظ .

ولكن اهتمامنا بدراسة أمر هذا الحوار والحرص على إقامته واستدامته يصدران اليوم عن إحساس متزايد بأن الأمر قد تغير وأن الزمان قد استدار .. وأن أمتنا العربية والإسلامية

تواجه على امتداد حدودها .. أخطاراً وتحديات لم يجتمع مثلها من قبل على امتداد تاريخها الطويل .

أمتنا أيها السادة العلماء فى خطر ..

ذلك أن اللحظة التاريخية التى أذن الله أن تسقط فيها الحواجز بين الشعوب وأن ترفع السُتُر التى كانت تحاجز بين الثقافات والحضارات .. وأن تتسع سوق التبادل التجارى والاقتصادى وأن ترفع منها القيود والسدود .. هذه اللحظة التاريخية الفاصلة قد جاءت وأمتنا تجعلنا نستشعر الخطر ونتجه إلى وضع حوار الحضارات فى إطارها الصحيح . وننتبه له . ونتنادى بأن عملاً هائلاً على جبهتنا الداخلية أولاً ينبغى أن يسبق الحوار مع الآخرين .. أو أن يواكبه ويتزامن معه على أقل تقدير .

أول هذه الأمـور التى تمثل الخطر تتناول كل ما يدور حولنا وأن الكلمة بيننا ما تزال متفرقة والانقسام على النفس لا يزال واقعاً والانشغال بمحاربة الأشقاء عن مواجهة الأعداء لا يزال أيضاً سمة غالبة بين أمتنا .

الأمـر الثـانى .. أننا لم نخرج بعد من عُنق الزجاجة فى معركتنا عن التخلف الاقتصادى والاجتماعى لأن لها علامات لا

معنى للمكابرة بشأنها وحالنا هذا ليس هو الحال الذى نحبه ونتمناه سواء بالقياس لما هو منتظر منا ونحن حملة أمانة وأصحاب رسالة ، أو بالمقارنة بأمم أخرى تتسابق فى دفاع محموم لتفوز بمراكز القيادة والريادة والسيادة فى نظام عالمى جديد .

* **الأمر الثالث** .. أننا نواجه حيرة ثقافية غير مسبوقة واختلاف كبير حول عدد من القضايا الكبرى التى لا تملك أمة تريد أن تنطلق إلى المستقبل أن تتركها معلقة .

* **الأمر الرابع** .. أننا نواجه حملة على الإسلام والمسلمين نعرف مظاهرها وظواهرها بينما نحتار فى فهم بواعثها ومراميها لأنها فى تقديرنا لا تخدم أحداً حتى الذين يحركونها ويشنونها علينا ، ولقد بدأت هذه الحملة بمقولة سياسية تبناها بعض المفكرين ثم تحولت إلى تصريحات سياسية تبناها بعض الساسة والحكام والمسئولين ، وترجم ذلك كله فى مواقف عملية حتى صار المسلم الذى يعيش فى أقلية مسلمة فى بلد غير مسلم وصار العربى الذى يعيش فى بلد غير عربى يحمل على رأسه شبهة اتهام وتوجس وسوء ظن .

إذن نحن أمام حملة لها وزنها هى حملة من لحم ودم يعانى من آثارها ملايين المسلمين الذين يعيشون خارج الإطار العربى الإسلامى الجغرافى .

فهل يدرك أبناء الأمة وعلماؤها مخاطر اللقاء مع الآخرين بغير تدارك سريع لهذه الثغرات والنقائص الكبيرة ؟ .

هذا هو الاطار الذى تعِرض وتُعرض فيه اليوم قضية الحوار مع الآخرين ..

ثم مقدمة ثانية بين هذا الحديث وفى هذه المحاضرة مقدمة ثانية تساؤل ضرورى وطبيعى عن المخاطبين فى هذا اللقاء هل هو حديث موجه إلى النفس نخاطب به الأمة والعشيرة والقوم أم هو حديث موجه إلى الآخرين نعرض به أنفسنا وما عندنا وندعو الآخرين به إلى كلمة سواء .

فى تقديرى أنه حوار يستغرق الأمرين معاً لذلك لابد أن يكون لنا وقفة مع الهدف الأكبر لحوارنا على هاتين الجبهتين .

حديثنا الموجه إلى النفس فى هذا الحوار ينطوى على دعوة ضمنية قد يصرح لها وقد لا يصرح للخروج من العزلة والإيمان الصادق للحاجة الحقيقية إلى الحوار وتوظيف هذا الحوار لما يحقق مصالح العرب والمسلمين .

طالت على أمتنا على مدى القرون سلسلة من الهزائم العسكرية والسياسية والثقافية دفعت بنا وبالفكر السائد بيننا إلى ألوان من صور الحروب والانطواء والانسحاب عزلة عن الآخرين وزُهداً فى التواصل معهم والتماساً للأمن الموهوم بالتهوين من شأن الآخرين وإدانة سائر الأمم والشعوب والالتجاء إلى الماضى الذى كانت فيه أمجاد إعراضاً عن المستقبل الذى هو الحقيقة الوحيدة التى تنتظر الأبناء والأحفـــاد .

وأقيم نسيج ثقافى مغلوط جوهره المبالغة فى تمجيد الذات ، ونفى الآخرين وتشجيع العزلة والانسحاب وتقديم مبررات فرعية وعقلية لهذا المسلك الهروبى الذى لا يصلح به دين ولا تعمر به دنيا ولا تؤدى به رسالة أمة كانت خير أمة أخرجت للناس .

ولقد آن أن تستعلى هذه الأمة على كل دواعى العجز وعلى جميع نداءات العزلة .. وجميع دعوات التراجع والانكماش والانسحاب .. ذلك أن احداً أى أحد لا يمكن أن يعزل نفسه عن دنيا الناس ومسيرة التاريخ فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية .

كما أن الحديث عن الحوار لا يمكن أن يكون له معنى إذا لم يكن هناك إيمان حقيقى بأن الحكمة موزعة فى الأرض مثبوتة بين مشارق الأرض ومغاربها ، وأن تميز الإسلام وخصوصية ثقافتة لا يعنيان كل مشابهة وتواصل بينه وبين ثقافات الشعوب فالخلق كلهم كما يحدثنا صلى الله عليه وسلم عيال الله وهو سبحانه جعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا ويتواصلوا ويتبادلوا الحكمة والخبرة ويتبادلوا المنافع ويتعاونوا بها على البر .

هذا ما نوصى به أنفسنا ونحن نستقبل حلقات جديدة من الحوار فى ظروف عالمية لم تعد تعذر منسحباً ، أو تحمى منعزلاً ، أو تعفى مندفعاً إلى العزلة .

وليذكر الناسون أن محمداً صلى الله عليه وسلم قد أقام فى وعيه الشريف وفى وعى أصحابه صلة قربى وعروة وثقى بين المسلم وسائر المؤمنين بالله من أهل الكتاب فالأنبياء كما يقول صلى الله عليه وسلم أبناء علات أمهاتهم شتى وأبوهم واحد وهو صلى الله عليه وسلم وليس أحد غيره قد جعل حلف الفضول وقد وقع فى الجاهلية أى خارج الإسلام التاريخى والجغرافى عهداً يُلزم وعقداً يُوفى به قائلاً : « لو دعيت به فى الإسلام لأجبت » وهو صلى الله عليه وسلم الذى جعل الحكمة ضالة للمؤمنين وإن كانت خارج حدود الإسلام الجغرافى قائلاً اطلبوا العلم ولو فى الصين فى عهد لم يكن فى الصين مسلمون .

أما الأطراف الأخرى التى تشاركنا الحوار فإننا نوجه إليها بشكل التواضع نداء يبعثه وصل حبال الود والتداعى إلى كلمة سواء والتعاون على الخير والانطلاق من خندق واحد لمواجهة أخطار عديدة مشتركة تهدد الكيان الإنسانى كله على اختلاف عقائد أهله وألوانهم ومصالحهم القريبة . نقول لهم إنه لا حوار يستحق هذا الوصف بغير اعتراف جاد وأمين بالآخرين ولا جدوى ولا جدال إذا كان بعض أطرافه يتعالون على سائر الأطراف . إننا نسمع فى الغرب حديثاً طويلاً معاداً عن العالمية والكونية والكوكبية وأذنوا لنا أن نقول : إن هذه الكلمة مقبولة فى معنى من معانيها مرفوضة عابثة فى معنيين :

المعنيان المرفوضان .. أولهما يقول أصحاب مداورين مناورين متسترين إن صراع الحضارات لم يبدأ وإنما انتهى وإنه ليس على هذا الكوكب إلا حضارة واحدة منتصرة انتصاراً نهائياً هى الحضارة الغربية وهذه المقولة التى بشر أو أنذر فرانسيس فوكوياما منذ سنوات قليلة دون أن يقيم عليها دليلاً علمياً يرضى موضوعية العلماء والباحثين .

انها كانت نفسة مؤرخ انفلت للحظة من القيود الصارمة للتاريخ العلمى الدقيق ، لأن معنى هذه المقولة أن يأتى أصحاب حضارة واحدة فيمنحوها بغير سند صفة العالمية ويفرضوها فرضاً على أهل الشمال والجنوب والشرق والغرب أى حوار هذا وأى تعددية هذه وأى تعاون بين الحضارات ؟ هذا نوع من الفرض الثقافى أو الاستعمار والوصاية الثقافية لا شرعية لها ولا جدوى منها وفيها استخفاف هائل لآلاف الملايين من البشر فى عالمنا العربى والإسلامى وفى الصين وفى أمريكا اللاتينية وفى دول أخرى فى آسيا وأفريقيا .

المعنى الثانى المرفوض أيضاً تحت ستار الخيرية أن يتنادى الناس جميعاً إلى أن ينفض كل أحد ما فى يده من ثقافته وعقيدته ، أن يكون الناس عراة من الثقافة مجردين من الحضارة يتفقوا على قاسم مشترك جديد أظن هذا أدخل فى باب العبثية منه فى باب الحوار الجاد لأنه يلغى التاريخ ويمحو التراث ويجرد المسيرة الإنسانية من كلمة التاريخ وخبرة التجارب وثوابت القيم التى تختزنها ذاكرته وضمائر الشعوب معناً .

يبقى معنى ثالث هو معنى مقبول أن يؤمن الجميع بأن التعددية سُنة من سنن الله ولا يزالون مختلفين . وهذه ليست أمراً ناشزاً عن المشيئة سبحان الله وإنما هى جزء من المشيئة الإلهية إنه جعلنا مختلفى الألسن وفى العقائد والألوان وجعل ذلك سبيلاً للتعارف ليثرى به الناس أنفسهم وتغنى به الحضارة وتتنوع وتتعدد وتسير أكثر ألواناً وإشراقاً وخصوبة .

إذن لابد أن نحافظ على هذه السُنة بإبقاء هذه التعددية إنما كما تواضع الناس فى حياتهم السياسية على صيغة لإدارة الحب ينبغى أن تتواضع الشعوب على صيغة لإدارة العلاقة بين الثقافات جوهرها أن يجلس الناس فى تدية وفى احترام حقيقى متبادل ، ليبحثوا معاً ما هى الخصوصيات التى يريد أصحاب كل حضارة أن يحافظوا عليها وهذه المحافظة نفع لهم ولسائر الثقافات ، إن هذه الخصوصية هى على التحديد وجه إسهامهم فى المسيرة الإنسانية كلها .

ثم يبحثون بعد ذلك الذى يجعل تعاونهم أمراً ممكناً ويجعل اندفاعهم إلى طريق واحد أمراً ميسوراً ممكناً ولهذا لما ذكرنا الدكتور / عبد[7] الصبور مرزوق بالقاعدة الذهبية وهى أن نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه هذه المقولة تحتاج إلى مقولة قبلها وهى تعالوا نكتشف خصوصيتنا ونحددها وتعالوا نكتشف المشترك بيننا ونثبته ونتفق على أنه مشترك ونتعاون عليه .

أما إذا نظر كل حزب بما لديه فرح بما لديه مُصرٌ على أنه يحتكر الحقيقة ولا يجادل الآخرين إلا من باب اللباقة وحسن الأدب فليس هذا حواراً وإنما هى مجاملة ممجوجة لا تبنى عليها حضارة الإنسانية ولا يقوم فى ظلها نظام عالمى جديد .

ويبقى بعد هذا سؤال ؟

هل وقد زالت الحواجز ورفعت الستر والتقى الناس على أمر قد قُدِر وصار البث الإعلامى المرئى والمسموع والمكتوب يصل إلى الناس قبل أن يرتد إليهم طرفهم . فصار كل الناس حاضرين عند كل الناس .

هل هذا اللقاء هو لقاء ودٍ أم لقاء قتال ، هل هو لقاء تعاون أم هو لقاء خصومة وصراع ؟ يبدو أن الآثار الباقية لصراع الشعوب والقوميات والألوان والعنصريات والمصالح الاقتصادية والدول الكبرى والمسميات بالعظمى والصغرى لا تزال له بقية من مرارة فى الحقوق ولا يزال ظله الاسود القائم يخيم على كثير من العقول فلما أراد كاتب سياسى مرموق مشهود له هو صمويل هاندنجن يعالج هذه الظاهرة وهو يضيق لأول مرة على هذا التواصل الجديد بين الحضارات إذا به يفترض أن الصراع هو القاعدة وأن القتال هو النظام وأن العنف هو اللغة فأحل صراعاً محل صراع ورسم خريطة لحدود الصراع الجديد محل الخريطة القديمة لحدود الصراع القديم وكتب مقالته المشهورة التى أقامت الدنيا ولم تقعدها ورد عليه آخرون ورد عليهم وردوا عليه ولكنه حصر القضية كما لو كتب بحثاً سماه « صراع الحضارات » .

وبلغ به التبسيط غير العلمى أن رسم خريطة ملونة قسم العالم فيها إلى الحوزات المختلفة للحضارات وتنبأ بأن الصراع وشيك وأن أبرز معالم ومحاور هذا الصراع أسرى بين الحضارة السائدة الآن وهى الحضارة الغربية وبين الحضارة المتحدية وهى الحضارة العربية الآن على أساس أن المتحدث قد أحيل إلى التقاعد وانسحب من الحلبة وانضم أو لم ينضم ولم يعد له وجود كأحد البدائل المتصارعة .

وإن هذا قد كتب فى إطار علمى وإن اجتهد الرجل فيه اجتهاداً علمياً يقبل منه على أى حال لكن طرف الخيط قد التقط ، والتقط إما عن جهل أحياناً أو بسوء نية فارتفع كلام طويل عريض عن أن الإسلام هو الخطر وأن المسلمين هم المعوق لإقامة الحضارة الإنسانية تعتنق المعانى النبيلة المتوارثة فى الحضارة الغربية والمبادئ السياسية الرفيعة التى قامت عليها الثورتان الفرنسية والأمريكية ومن قبلها ، وشقت بعض هذه المبادئ فى العهد الأعظم فى انجلترا صوروا العرب والمسلمين على أنهم الغير والغير فى الفكر الغربى كما يقول سارتر هو الجحيم ، الآخر هو نقيضى ولما قال الأنا هى الغير فالغير هو الشر . فإن تدفع بالغيرية الكاملة فهذا مدخل خطير لتعامل معاملة الأعداء .

ودعونى أكون أكثر صراحة لما أرادت الصهيونية العالمية أن توجد لها موطن قدم نعال ومهيمن فى أرض الغرب لجأت إلى الاستفادة من هذه الغيرية والوجدانية بين المعية والغيرية

فتحدثوا عن الميراث المسيحى اليهودى ليستقر فى العقل الغربى وفى القلب الغربى وفى الإعلام الغربى وفى الحكم وفى السياسة الغربية أن اليهود وكل ما يعبرون عنه جزء عضوى متراكب مع نسيج الحضارة الغربية أى هو جزء من الأنا الغربية أما العرب والمسلمون فهم الغير ، هم النقيض لا مكان لهم فى الساحة إنما الساحة بمن فيها هى خصم لهذا الغير واستبعد الإسلام مع انه هو المتمم الطبيعى والمنطقى والتاريخى للأديان اليهودية والمسيحية وهم يعرفون فى الغرب أن مريم الصديقة العذراء وأن عيسى عليه السلام ما ذكرا فى وثيقة من الوثائق وما مجدا فى مقام من المقامات كما مجدا فى القرآن الكريم .

إنما القضية قضية استعمال الأنا فى مواجهة الغير .

ولذلك الذى أريد أن نبثه فى أنفسنا أولاً ولدى الآخرين أن هذه الخصومة المفتعلة ، وقد قرأت كتاباً بالانجليزية أتحدث عنه ونحن الآن بصدد ترجمته إلى العربية لباحث مستشرق أمريكى يدرس الآن فى جامعة جورج تاون هو الاستاذ إسبوسيتو . هذا الكتاب كتب فى وقت بدت فيه أن العرب والمسلمين هم الخصم وأن الحضارة الإسلامية هى العدو الجديد ، الكتاب عنوانه « الخطر الإسلامى وَهْم أم حقيقة » وانتهى إلى أنه وهم وأن غاية ما يمثل هذا التحدى الإسلامى أنه يستخرج من ذات الحضارة الاسلامية ومن ذات الحضارة الغربية خير ما فيهما تمهيداً للقاء عظيم على أمر قد قُدر فى مسيرة التاريخ

يلتقى فيه الناس جميعاً على ما فى حضارتهم من كل خير وبر وتعـاون .

إن القضية هى قضية فى مقام العلم ، وهذا مقام علم لا أن تُبْنى عليه سياسات تتعلق بها مصائر آلاف الملايين من سكان هذا الكوكب نفصل هذه المقوله - فهى ليست القضية أن يقال « صدَام » ثم يرد من يقول لا صدَام إنما نبحث فى موضوعية أن نحدد المسائل ونفصل القضية لنرى ما فى داخلها هل هناك حقيقة لا ادعاء أشياء مشتركة بين الحضارة الغربية السائدة وبين الحضارة الغربية الإسلامية ؟ الجواب على هذا بكل موضوعية أن بينهما مواضع اختلاف وبينها مواضع التقاء وإذا كنا نحن العرب والمسلمين لا نفرط قيد أنملة فيما ميزنا الله به وأعزنا به ونقبل ونفهم تماماً أن يعتز الغرب بما فى حضارته إلا أننا بموضوعية الإسلام الذى علمنا ..

أنه **« ولا يجـرمنكم شنآن قـوم على ألا تـعـدلوا اعـدلوا »** (١) . **« وقـولوا للناس حـسناً »**(٢) . وأن **« الحكمة ضالة المؤمن »** .

إذا تأملنا وجدنا عناصر التقاء تجرى فى التقدير الموضوعى الهادئ لاستئناف مسيرة ود وتواصل وتعاون على البر .

هناك أمور أربعة قائمة فى الحضارتين وإن قامت بصور مختلفة وصيغ مختلفة لأن حضارات الناس ، والناس ليسوا ملائكة ولا أرباباً الناس أبناء بيئة يتأثرون بالطقس والمكان

---

(١) المائدة : ٨ . (٢) البقرة : ٨٣ .

والزمان وكل ما يعرض لهم . حتى فى إطار الإسلام فإن رنين إسلام آسيا قد يختلف قليلاً فى وقعه عن إسلام أوروبا وإفريقيا وإن التقوا على الأصول الكلية والأمور الثابتة والمسلمات التى عرفت من الدين بالضرورة ولا ضرر فى هذا ولا ضير .

لقد كان الأنصار غير المهاجرين . والنبى - صلى الله عليه وسلم - عندما بعث معاذ بن جبل إلى اليمن افترض أن أموراً سوف تعرض لمعاذ غير التى تُعرض له هو - صلى الله عليه وسلم - فى المدينة فقال له إذا عرض لك قضاء فبمَ تقضى ؟ قال بكتاب الله ، قال : فإن لم تجد ، قال : بسنة رسول الله ، قال: وإن لم تجد ، قال : أجتهد رأيى ولا آلو جهداً .

علماؤنا الثقات يكتبون فى كتب الفقه اختلاف الفتوى باختلاف الأزمنة والأمكنة والأحوال ، هذا مقام صعب ومعترك فرط فيه أقوام . وأن لنا أن نودع تفريطهم إلى غير رجعة فى الزمان والمكان والبيئة والظروف أثر للثقافات والحضارات . لهذا لا تعجب إذا وجدنا أن المبادئ الأساسية يعبر عنها بتعبيرات تختلف صيغهم من حضارة إلى حضارة .

أول المعالم المشتركة الإيمان بالخالق والثواب والحساب - وكل حضارة لها مجرى رئيسى عريض عن جانبى وعن جانبيه تيارات فرعية مشتقة يسمونها حضارات فرعية .

ونحن نعرف أن فى الحضارة الغربية مكون ألمانى مصدره المسيحية وإن اقتربت منه أحياناً وابتعدت عنه أحياناً تماماً كما

أن أوضاع المسلمين فى أحوالها كلها تعبيرعن ثقافة الإسلام بل هى فى أحوال تعبير عن بعد المسلمين عن ثقافة الإسلام .

إذاً من العناصر الأساسية المشتركه الايمان بالخالق وبالثواب والعقاب والحقوق ونحن المسلمين نزعم ونقول إذا كنا نرفض المقولة اليهودية التى تجعل فريقا من الناس شعباً مختاراً لله ولا نقول هذا فى حد أنفسنا وانما نقول إن مخلوق الله المختار هو الإنسان ولذلك جاء التكريم فى القرآن الكريم .

وأدعو الاخوة الكرام المشاركين من ثقافات وحضارات فى هذا اللقاء إلى أن يتأملوا فى هدوء شديد التكريم فى القرآن الكريم لم يأت للمسلمين وحدهم :

« **ولقد كرمنا بنى آدم** » (١) . فالتكريم موجه لبنى آدم جميعاً .

إهانة الأرواح والأموال والأعراض والحرية والكرامة مرفوض فى الإسلام بالنسبة للناس أجمعين ويتفرع عن ذلك قائمة طويلة للحقوق والحريات . نعم صارت فى دنيا بعض المسلمين كما فى الدنيا سنة متروكة وفريضة غائبة تستحق أن يتنادى الشرفاء المخلصون لإعادتها إلى عرشها وبها يعود إلى عرشه الفهم الصحيح للإسلام ولكل الأديان السماوية .

الأمر الثالث : الإيمان بأمر الناس وأنه ينبغى أن يقوم على الشورى أياً كانت صيغة هذه الشورى تختلف من الشرق إلى الغرب ،اختلفت فى أثينا القديمة عنها فى اليونان الحديثة ،

---

(١) الإسراء : ٧٠ .

اختلفت عنها فى امريكا عنها فى اوروبا ومن واجب الناس أن يفهموا أن الأنظمة السياسية صنع وتركيب يقيمها الناس ليكسوا المبدأ الخام لحم البدن ولكن المبدأ يظل هو هو ، المبدأ الذى كان يتمثل فى عهد أبى بكر رضى الله عنه فى أن يخرج على باب الشفاء خباء صغير فى صحراء موحشة يقول أشيروا علىّ أيها الناس هو هو نفس المبدأ الذى من أجله تدرس الأنظمة السياسية والدستورية وتخترع الآلات الالكترونية التى تساعد الناخبين فى الإدلاء بأصواتهم .

يظل هذا التطور فى الصيغة والتركيب نحو المزيد من الإتقان لكن الايمان الثقافى والقيمة الثقافية تظل هى بلا زيادة ونقصان ، الايمان بحق الناس فى أن يكون لهم رأى وقول فى شئونهم العامة .

الأمر الرابع : الرغبة الجادة فى تحقيق سلام عالمى يحرس مسيرة التنمية التى تتنافس لتحقيقها كل الأمم والشعوب وأظن أن منذ الحرب العالمية الثانية وما أعقبها من حروب صغيرة وكبيرة وتدمير هنا وهناك ، الدرس الذى وعته الإنسانية أن السلاح لم يعد يحمى أحداً ، قد يهلك العدو ولكنه يهلك حامله أيضاً ، وأن النصر إذا تم فى معركة فإن الهزيمة قد تكون فى معركة أخرى ولذلك تكاد الشعوب تتعلم حكمة جديدة أن الحماية الحقيقية لحضارة الإنسان لا تكون فى هذه الأسوار العالية ولا تكون فى هذه السدود المنيعة ولا تكون فى هذه الأسلحة الرهيبة وإنما تكون بتحسين العلاقة مع الآخرين ، وإذا

كان القائل قد قال لعمر بن الخطاب فى البيئة البدوية البسيطة « عدلت فأمنت فنمت » فإن هذه المقولة تصدق الآن لو عدل الناس واحترموا حقوق الآخرين لأمنوا واستطاعوا أن يتوجهوا بطاقاتهم كلها إلى البناء والتعمير ووفروا ميزانيات الأسلحة التى تعد للإهلاك والتدمير .

إن هذا هو أحد الدروس الجديدة .

صاح البعض بأن النظام العالمى الجديد هو نظام يقوم على إحلال قواعد جديدة للعلاقات الدولية تستبعد الإهلاك والعنف والتدمير وتحل محلها تعاوناً واعتماداً متبادلاً ، هذا إن كان جاداً وصادقاً وعته الحضارة الغربية فهو أصيل فى الثقافة العربية . كيف وأنا أقول انزعوا غلاف القداسة عن القرآن واقرأوا فيه بشئ واحد هو حسن الفهم والموضوعية والانصاف .

يقول النص :

« يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم »(١) .

فى التحليل البسيط لهذا النص أنه يبدأ بحقيقة كبرى حاكمة هى وحدة الأصل الإنسانى من ذكر وأنثى وبضربة واحدة تسقط كل الأمور العارضة من لون ولغة ولقد سقطت فى وقت مبكر جداً فى تاريخ الاسلام .

إذاً الاشارة إلى الذكر والانثى إعلان لمساواة الإنسان .

---

(١) الحجرات : ١٣ .

يأتى التنبيه إلى حقيقة كونية أن الله جعل الإنسان جعلاً ، كما وضع الجبال فى الأرض أن تميد بالناس شعوباً وقبائل - سيظل الناس مختلفين فى لغتهم وأمزجتهم وعاداتهم وتقاليدهم ولكن هذا لا ينبغى أن يكون مصدر خلاف وشقاق ، وعنف متبادل وإنما يكون التعارف الذى هو مدخل الود .

إذاً هناك على الجانبين قدر مشترك من الجهل بالآخر يحتاج إلى أن يزال لأن العلم بالآخر هو سفير للآخر .

على الجانب المشترك إذا كنا نؤمن أن المحافظة على الخصوصية هو فرض عين فإن البحث عن المشترك قد صار على الأقل فرض كفاية حتى تستطيع الأمة أن تندفع إلى تعاون على البر والتقوى .

العالم مقبل على تحديات وهذا يحتاج تهدئة الجبهات الداخلية حتى تستجمع الطاقة ويتوحد الجهد ويتوجه كل شئ نحو الأهداف الايجابية التى تنفع الناس فتمكث فى الأرض . على الجبهة العربية محنة وعلى الجبهة الغربية محنة ونحن نقول : نعم إن حوار الحضارات أوسع من حوارات الأديان ، لأن الأديان مكون يغرز قيماً ونماذج فى السلوك ورؤى ، لكن حياة الناس لها إفرازات من مصادر أخرى وبالتالى الحضارة هى ما بنى على عقيدة وتصور كلى شامل للحياة والأحياء لكن يظل صحيحاً .

إن الدين الإسلامى والشريعة الإسلامية والعقيدة الإسلامية والتربية الإسلامية تؤدى دوراً هائلاً فى تشكيل وجدان الأمة

وتحديد توجهاتها السلوكية ولذلك ينبغى أن تكون جبهتها الداخلية من هذه الزاوية هادئة صافية وفى الغرب أيضاً ظاهرة :

الظاهرة التى أريد أن أتحدث عنها على أنها أزمة فى الجبهة الداخلية لنا نحن طرف الحوار العربى الإسلامى هى أزمة العمل الإسلامى الأهلى للعمل والفكر والتربية الإسلامية ولنشر هذا التصور الإسلامى والدعوة إلى قيم الإسلام وإحيائها وشرعية الإسلام وتطبيقها كل ذلك تمارسه حكومات ومؤسسات أهلية ، تمارسه أيضاً والآن مهمة الأمم والشعوب صارت من الضخامة لا تقدر عليها الحكومات مما حسنت نواياها وجمعت طاقتها وزودت بأفضل الكفاءات ، فهناك دور كبير تؤديه الجمعيات الأهلية .

عندنا فى العالم العربى والإسلامى إشكالية أنه فى الاندفاع نحو المستقبل وفى استنهاض الهمم وفى الاحتجاج على الضعف والتمرد على العثرات واستعجال النهضة وقعت ألوان من عوج الفكر وانحدار السلوك وصلت أحياناً إلى استباحة الدماء والأموال والأعراض ، ولكن وهذا ما نقوله ونكرره يظل هذا كله بما فيه من عوج هامشاً صغيراً لا يبرر إساءة الظن بكل توجه أهلى أو نشاط أهلى يرفع شعارات الإسلام ويدعو إلى مبادئــه .

والحكام فى عالمنا العربى والإسلامى أيضاً فى محنة فالاصلاح صعب والطريق وعر والتحديات من الداخل والقادمة

من بعيد تمثل تهديداً يومياً لمسيرة الإصلاح وقضايا الأمن والاستقرار .

نقول فى عالمنا العربى والإسلامى لا تتعجلوا الحكم على الجماعات لا تسرفوا فى إساءة الظن والتوجس لأن هذه الدائرة إذا اتسعت فستشمل الصالح والفاسد والمحسن والمسئ والذى هو معك والذى ليس هو معك ولذلك أكرر على مسئوليتي من جديد من فوق هذا المنبر دعوة مجددة تأخذ صيغة التوسل إلى أن نعمل شيئاً لفض هذا الاشتباك التعيس بين كثير من روافد العمل الأهلى الجاد السمح للإسلام ، وبين الحكومات فى عالمنا العربى والإسلامى ، ونحن نفهم موقف الحكومات وموقف الجماعات الأهلية لكن خطوات جادة وسريعة وحاسمة على طريق فض هذا الاشتباك هى فى تقديرى شرط ضرورى لخروج الأمة العربية الإسلامية فى قلب رجل واحد بصوت واحد مستريح الأعصاب مؤمن الظهر موحد الكلمة حكامه ومحكوموه رعاته ورعيته فى خندق واحد تمد يد الود والقربى والسماحة إلى الطريق الآخر .

إنى أتنادى متوسلاً لأهل الرشد والحكمة ألا يضيعوا الوقت . فكل هذا العنف الظاهر والغضب الخارج عن الحدود له حلول غير الحل الأمنى وحده ، فالحل الأمنى وحده لن يوصل إلى شئ ، فالقضية مركبة هى قضية نفوس وعقول وفكر وثقافة وأوضاع اجتماعية وسياسية .

تعالوا نقدم وصفة متكاملة تريحنا من هذا العناء وتوحد صف الرعاة والرعية والحكام والمحكومين لأنه ليس هناك قضية حقيقية وإنما اختلاف زاوية فى رؤية وإساءة ظن متبادل ووصلت إلى طريق لعب فيها اللاعبون فوصلت إلى طريق نرجو أن نحسن الحلول بصدده لأن الزمن لا ينتظر أحداً .

أما اهتزاز الإسلام فى بعض دوائر الفكر واسقاط الثقافة العربية الإسلامية التى تحرك الدنيا وحركته إلى أن أثير ظاهرة أمنية هو أمر يدعو إلى البكاء والحزن الشديد .

أما الكلمة التى أوجهها إلى أطراف الحوار على الجانب الآخر فإنها كلمة من جزئين : مزيداً من الإنصاف ، مزيداً من الموضوعية . فالعنف الذى يتحدث كثير منكم عنه فيطيلون الحديث ليس إلا هامشاً ضئيلاً ، ركزوا النظر على الجزء الصحيح من الجانب العربى الإسلامى وهو الجزء الأكبر الواسع الفسيح وستجدون سماحة وإيماناً بالله وستجدون إيماناً بالآخر واحتراماً للإنسان وإيماناً حقيقياً بالتعددية ورغبة جادة فى الإسهام بتواضع وموضوعية فى معالجة مشاكل قد صارت عابرة للقاءات فصار ضرورياً أن يكون الجهد المبذول لعلاجها جهداً عابراً للقارات .

وأنتم تعرفون أن المشاكل والسوءات ليست من نصيبنا وحدنـا .

ومواطن الخلل فى الغرب ليست كلها غربية بل قد يكون بعضها شرقى أيضاً إنما هى تعبير عن الآثار الجانبية المرضية

لمسيرة صحيحة فى التقدم.الصناعى والتكنولوجى سيطر بها الإنسان على الكون واكتشف فجأة أنه لم يحسن تحديد علاقته بنفسه ولا علاقته بالآخرين . نعم صارت منازلنا مليئة بالمخترعات وكل يوم نترك القديم ونشترى الجديد وكل الحياة أزرار تقرب البعيد وتدنى القاصى وتيسر العسير .

لكن ماذا جرى لعلاقة الإنسان بالإنسان هل السعادة الحقيقية يمكن أن تقاس بجهاز - إن وجد هذا الجهاز - إن السعادة نقصت - بسبب الملل - والناس اعتادت على الخيرات فملت ، والقلق موجود لأن الأمن صار مفقوداً ابتداء من حدوث ما لا يتوقع إلى هذا العنف المجنون الذى نسمع أخباره كل يوم .

علاقة الناس بالناس أين الحوار وأين الأسرة وهناك جيران قليلون يحسن كل منهم الجوار إلى الآخر .

ليس صحيحاً أننا نعيش فى أزمة والغرب مستقر ولقاء الحضارات ليس لقاء ثابتين . إن الحضارة الإسلامية والمسلمين والعرب والغربيين أشبه بقطارين يسيران متوازيين بأقصى سرعة ويراد إقامة علاقة بينهما فليس الأمر.أمر كيانات ثابتة فى صورة معلبة نهائية ، هناك تغيرات جذرية وبحث عن الذات فى العالم العربى والإسلامى وفى الغرب أيضاً ينبغى أن يقوم شئ من هذا فإذا أضيف إليه التواضع لاكتشف الناس أن الحكمة ضالتهم وأنها مبثوثة فى الخلق وأن أصغر الأمم والشعوب تملك أن تقدم شيئاً لأكبر الأمم والشعوب .

أقول بعبارات صحيحة ونحن فى خاطرنا الحضارتين الغربية والعربية الإسلامية أقول نحن نعرف وتعرفون آثار يد الماضى الثقيلة التى سممت الآبار والنفوس وزرعت الحواجز ، نعرف الصراع والمنافسة التى كانت بين الدعاة المسلمين والمبشرين الكنسيين فى عالم الغرب ، نعرف الحروب الصليبية التى زج بها باسم المسيح ظلماً وعدواناً ، نعرف الاستعمار الذى أذل كثيراً من الشعوب العربية والإسلامية وآسيا وأفريقيا وفى أمريكا الجنوبية ، نعرف الوقفة الظالمة التى وقفتها دول غربية إلى جانب إسرائيل وهى تأكل حقوق العرب والمسلمين . نعرف ذلك كله .

وأقول إن أكثره قد صار صوراً باهتة فى وجدان الأجيال الجديدة من العرب والمسلمين فتعالوا على الجانبين لنفض عن كواهلنا يد الماضى الثقيل بكل ما فيه بما نعلم وتعلمون ، دعونا نقول : نحن نستهل عهداً جديداً يبشر بالسلام والمودة وجعله ذوى القربى تعالوا نمسك هذا الكتاب الخير بيميننا ونتنادى على البعد ويتنادى التائهون بالصحراء . نحن هنا فيأتيه الصدى من قريب أو بعيد ، ونحن أيضاً لعل ما نقوله وتقولون وما نفعله وتفعلون قطرات من الماء العذب تتجمع شيئاً فشيئاً ليكون من التقائها مجرى عذب .

نسأل الله تعالى أن يجعله سائغاً للشاربين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..،

كلمة الأستاذ الدكتور / على فهد الزميع
وزير الأوقاف الكويتى

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أشكر جمهورية مصر العربية وفضيلة الإمام الأكبر ومعالى وزير الأوقاف على إتاحة الفرصة لنا جميعاً للمساهمة فى مثل هذا اللقاء الراقى المتحضر

حقيقة كنت أود أن أدخر شيئا مما عندى حيث سوف استعرض الورقة التى كلفت بها من قبل إدارة المؤتمر ولكن أشكر الاخوان القائمين على إتاحتهم الفرصة لى للتعليق على بعض القضايا التى قد لا تكون قد شملتها الورقة .

وأود أن أبدأ بالتعرض لمفهوم الحوار ، الحوار الذى بدأت تعقد له جلسات ومؤتمرات مثل هذا المؤتمر من أجل إقناع كل طرف بالجلوس على المائدة والاستماع إلى الطرف الآخر ، أنا أعتقد أن هذا مفهوم من التراث ومن الماضى وقد انتهى ، التراث أصبح الآن فى هذه القضية للأسف هو الذى يهيمن على المعسكر الإسلامى فى فهمه لقضية الحوار ، إن مبدأ الحوار أصبح مبدأ مفروضاً على جميع الحضارات وأصبح يطبق دون إذن أى حضارة أو أى شعب ، فالحوار ليس الحوار التقليدى وهو جلوس ممثلين لشعوب وحضارات على طاولة النقاش للوصول إلى مفاهيم مشتركة .

إن الحوار أصبح الآن يفرض فرضاً على شعوب وأمم الكرة الأرضية من خلال تكنولوجيا الاتصالات . أصبح الحوار الآن ملزماً للجميع أو أصبح حواراً من طرف واحد يفرض على الطرف الآخر ، وهنا يأذن لى الاخوة المشاركون من غير المسلمين أن أقول إننا أصبحنا نحن المسلمين الطرف المتلقى للحوار ، نحن لسنا مشاركين بالحوار ومازلنا مع ذلك نبحث فى : هل ندخل إلى حلبة الحوار أم لا ؟ . هذه قضية خطيرة يجب أن يعيها المسلمون .

الحوار مفروض ودائر ، ونحن الغائبون عن طاولة الحوار من خلال أجهزة الإعلام ...... إلخ . الرجاء أن يعاد النظر فى مفهوم الحوار وخصوصاً أن آلية الصراعات بدأت تختلف نسبياً فى العالم . فتحقيق المصالح السياسية والاقتصادية لن تصبح الآن آلية صراع لهذه القضايا من خلال استخدام اللعبة السياسية والآلية العسكرية فقط ، بل إن محاولة فرض هيمنة ونمط حياة ، ونمط تفكير على شعوب أخرى آلية رئيسية فى عملية الصراع السياسى والاقتصادى وبالتالى ما نشاهده نحن الآن هو محاولة فرض بعض الحضارات على الحضارات الأخرى أنماطاً من الحياة الاجتماعيه ، وأنماطاً من التفكير وليس فقط على المسلمين ، بل إن هذا الأمر يحدث على مستوى البشرية وداخل الحضارات وكل حضارة على حدة .

وننتقل من هذه المقدمة إلى قضية أخرى ..

إن قضية الحوار فعلاً تحتاج إلى بعض المنطلقات التى تمثل صعوبات تقف عائقاً أمام مبدأ الحوار المفروض علينا . فمن

الخطأ أن الحوار يتم فقط بين المسلمين والغرب ، وأنا أعتقد أن قضية الحوار يجب أن تعمم وأن تتاح للإنسانية ولمختلف الحضارات ، فحصر قضية الحوار الحضارى بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية أعتقد أن الزمن قد تجاوزها ومن حق الإنسانية أن تشارك وتطّلع على إنجازات الحضارة الغربية والإسلامية وأن لا تهمل وإلا نكون نحن ألغينا مبدأ الحوار .

فإقتصارالحوار على حضارات معدودة هو إلغاء لمبدأ الحوار بما يحمله من قيم وجوهر راقٍ .

قضية أخرى : يعتقد البعض أن الحضارة الغربية غير مضطرة أو محتاجة للحوار ، أنا أعتقد أن هذه القضية يجب أن تواجه داخل الحضارة الغربية ويجب أن تحسم لأنه لا توجد حضارة فى العالم ليست فى حاجة إلى الحضارات الأخرى .

إشكالية ثالثه : ان العالم الإسلامى وليس الإسلام غير مستعد نسبياً للواقع المتخلف الذى نعيشه ، فالحوار وخصوصاً بمفهوم الحوار المعاصر الذى يعتمد على تقنيات وعلى مضامين وآليات متقدمة يحتاج إلى عملية استنهاض ومشروع حضارى للأمة الإسلامية حتى تستطيع المساهمة فيه .

كذلك أحد المعوقات الهامة إزالة بعض العقبات داخل كل حضارة التى تتحفظ على مبدأ الحوار أو تسئ استخدام مبدأ الحوار ليكون أداة لصراعات سياسية أو اقتصادية .

إذا إنتقلنا إلى قضية أهداف الحوار ، إلى ماذا نهدف فى حوارنا ؟ الحاجة إلى الحوار تتنوع وأعتقد أنها قضية رئيسية

وأن نكون منطقيين ، وأن نبنى أهدافنا بالحوار ، وأن ننطلق فى حواراتنا مع الحضارات الأخرى لتحقيق المصالح المشتركة ، وسوف أتطرق لاحقاً إلى قضية هذه المصالح المشتركة التى أعتقد أنها تتزايد يوماً بعد يوم ، كذلك من أهداف الحوار يجب أن يكون التركيز على التعرف وإشاعة قيم التسامح فى الحضارات الأخرى وذلك يتم بآلية مبنية على الاحترام المتبادل كما ذكر استاذنا الدكتور / كمال أبو المجد ، وعدم استخدام بعض الشعارات وبعض الحقب التاريخية ، وبعض جذور السلبية فى كل حضارة ورفعها كعائق أمام تبنى مبدأ الحوار ، كذلك عدم استخدام هذه الجذور السلبية كأداة فى قضايا وصراعات سياسية وعسكرية قد تؤدى فى النهاية إلى الإجهاض .

التجربة الأخيرة فى البوسنة والهرسك ، الخسارة الكبيرة كانت فيها ، ليست خسارة سياسية أو عسكرية أو اقتصادية للحضارة الإسلامية أو للحضارة الغربية أو مكسب لإحداهما .

الخسارة الكبيرة كانت للإنسانية وتتمثل فى تراجع القيم وثقة الحضارات بعضها البعض وشعور بعض الأطراف ، أن رفع شعار الحوار وقيم التسامح والإنسانية فقدت فى هذه المعركة

أعتقد أن خسارتنا كإنسانية كانت خسارة كبيرة لأنها خسارة لقيم الحوار والتحضر والإنسانية .

أيضاً من الأهداف التى يجب أن نسعى إليها هو إشعار العالم أن الإنسانية فى حاجة فعلاً إلى قضية الحوار وان الأخطار التى تهدد الإنسانية الآن قد تطورت مع تطور البشرية ، الأخطار الآن

لم تصبح حكراً على إقليم أو بلد أو حضارة دون حضارة أخرى ، فقد بدأت تبرز أخطار عامة تهدد الإنسانية وتهدد الحضارات جميعاً أيا كانت .

وأخطار تلوث البيئة وتدمير البيئة أعتقد أنها أخطار تشترك كل الحضارات والشعوب فى وجوب الوقوف ضدها والتعامل معها بشكل شمولى وجماعى لمواجهتها وهذا لا يمكن إلا من خلال تواصل وتفاعل بين الحضارات والشعوب .

قضية الأسلحة ذات التدمير الشامل وما تمثله كانت حكراً فى الماضى على بعض الدول الكبرى . التى نفت نسبياً وجود آليات قد تكون لديها من التعقل والحكمة مما يعمل شيئا من الهيمنة والسيطرة على هذا الخطر . أعتقد الآن ان الإنسانية مهددة بخطر كبير هو إنتشار هذه الأسلحة بأيدى أنظمة غير مسئولة ، وبالتالى هذا خطر شمولى يهدد الإنسانية والحضارات معاً .

قضايا المجاعات والتخلف أصبحت الآن ليست خاصة بحضارة أو شعب معين . التخلف الذى يكون فى أمريكا الجنوبية أو فى أفريقيا أو فى آسيا أو المجاعة لها تأثير مصلحى وليس أخلاقيا إنسانيا . قضية التخلف الاقتصادى والمجاعات تؤثر حتى على الدورة الاقتصادية للعالم وبالتالى تمس بشكل مباشر مصالح الحضارات المختلفة .

وأخيراً .. وأهم قضية مشتركة أعتقد هى قضية القيم العقائدية والروحية والإيمانية والأخلاقية تشهد انهيارات كبيرة وللأسف هذه الانهيارات بدأ يخطط لها من خلال منظمات دولية وعالمية ويقنن لها الفكر والتشريعات ويصل الأمر بها إلى توثيقها بمواثيق دولية وإذا وصلنا إلى هذه النقطة فإنها انتحار للحضارات ولم يبق إلا حضارة واحدة هى حضارة المصالح المادية البحتة لا أكثر ولا أقل التى تقابل بالوجه الآخر بالتماسك الاجتماعى والإيمانى ..... إلخ .

ولا أطيل فى هذه القضية ولكننى أجزم بأن الوضع فى غاية الخطورة فى هذا الشأن .

بعد هذا المرور على هذه القضايا أعتقد أننا يجب أن ننتقل إلى : ماذا يجب علينا ؟ طبيعى نحن نحتاج إلى مناخ وآلية للحوار وهذه قضية هامة يجب على المفكرين والباحثين أن يقفوا عندها .

قضية المناخ وآلية الحوار ، أعتقد أنها تنقسم إلى قسمين : قسم ثقافى ، وقسم مؤسسى .

مضامين ثقافية وآليات مؤسسية ، أعتقد أن الاهتمام يقيم الحوار داخل كل حضارة ، قضية هامة يجب التركيز عليها إشاعة قيم الحوار، والتواصل بين الحضارات قضية هامة ، ويجب على كل حضارة سواء كانت الإسلامية أو الغربية ان يبدءوا بإبراز هذه القيم والتركيز عليها وإشاعتها داخل مدارسهم الفكرية والتربوية . كذلك هناك قضية هامة - لا يمكن

وأنا أجزم - أن نؤمن بنجاح الحوار بين الحضارات إذا كانت هناك حضارة ترفض الشورى أو الديمقراطية أو المشاركة الشعبية أو التعددية ، فمن يتربع على رفض التعددية داخل حضارته فلا يمكن أن يقبل بالتعددية مع الحضارات الأخرى . الأنظمة التسلطية والعسكرية ....إلخ ، لا يمكن أن تنشئ حضارة حتى تؤمن بتعدد الحضارات والتواصل بين الحضارات ، قيم الشورى وفلسفة الديمقراطية والمشاركة الشعبية هذه قضية خطيرة يجب الاهتمام بها وهى إحدى قيم الحوار التى يجب أن تشيع فى مجمعنا حتى فى البعد الاجتماعى حتى يمكن أن نقيم حواراً بين الحضارات . فمثلاً قضية الحريات يجب أن تنتقل بين الشرائح الاجتماعية وقضية المرأة والطفولة تعد قضايا هامة يجب النظر إليها باهتمام حتى نستطيع أن نصل إلى هذه القضية فعــلاً .

هناك متطلبات فى مناخ وآلية الحوار ، تخصنا كمسلمين أود أن نقف عندها . أنا ذكرت أن المناخ والآلية هى قضايا هامة فقد ذكرت أن الاهتمام بقيم ومبادئ الحوار داخل كل حضارة ، فيجب الإكثار من أدبيات قيم الحوار فى الخطاب الدينى ، القيم التى يجب أن تبرز فى الخطاب الدينى ، والتربوى ، والخطاب الإعلامى ، وحتى الخطاب السياسى . البرامج السياسية والتربوية والدينية والثقافية والإعلامية يجب أن تكون مليئة بهذه القيم لأنه لا يكفى إبراز القيم كما يحدث الآن فى عالمنا الإسلامى . مضامين الفكر الإسلامى مليئة بالتواصل والتفاعل

بين الحضارات ولكن نجد أن الخطاب الدينى والتربوى والإعلامى فارغ منها ، كذلك فى قضية المناخ وآلية الحوار ، أعتقد أننا نفتقد مؤسسات ومنظمات متخصصة بهذا الأمر ، وأعتقد أنه قد آن الآوان أن تحظى هذه القضية بمؤسسات متفرغة لها على المستوى المحلى والإقليمى والدولى والعالمى ، لأن نجاح قضية التواصل والحوار هو الطريق إلى نزع فتيل تدمير العالم والحضارة الإنسانية الشاملة لكل الحضارات .

فى الختام .. أعتقد كوننا مدعوين من مؤسسات إسلامية مشكورة على تبنيها لهذا الفكر ، وكوننا فى إحدى قلاع الإسلام وهى مصر الشقيقة ، أعتقد أننا نحتاج فى الخاتمة أن نمر مروراً سريعاً على متطلبات إسلامية للحوار والتواصل الحضارى . نحن المسلمين يجب أن نعى أن علينا دوراً كبيراً فى هذه القضية لأن قيمنا وواقعنا يجبرنا على ذلك ، بداية نحن قد نختلف عن الآخرين فى قضية إيجابية ، نحن جزء من تعبدنا الشرعى قائم أساساً على قضية الحوار ، الدعوة إلى الله مفهومها التعريف بالإسلام . ولا يمكن التعريف إلا بالتواصل مع الآخرين وبالتالى جزء من واجبنا الشرعى والإيمانى هو أن نتواصل مع الآخرين لأنها الطريقة الوحيدة للتعريف بالإسلام . بل إن معظم المفكرين الإسلاميين عالجوا قضية ومفهوم الجهاد الذى يساء استخدامه فى واقعنا المعاصر والذى أصبح كأنه سبة فى الإسلام بينما هو أحد مفاخر الإسلام .

يرون أن فرض الجهاد بالاضافة إلى كونه آلية وقيم دفاع عن حقوق الوطن والشعوب الإسلامية ، هو أداة تستخدم بعد ذلك للحفاظ على حقوق الشعوب والإنسانية في الاختيار والحوار والتعرف على الحضارات الأخرى .

ولكن للأسف التراكمات السلبية أغفلت هذا الجانب . نحن كمسلمين مطالبون شرعاً بذلك ، فمن غير اللائق أن يطرح مبدأ الحوار : هل هو لصالحنا أم لغير صالحنا ؟ ، هو فرض علينا لأنه كما ذكر فضيلة الإمام الأكبر بالأرقام وبالآيات القرآنية والسنة النبوية ، القرآن ملئ بالتفاعل والحوار مع الآخرين . فنحن بحاجة كمسلمين لتأهيل خطاب فكرى لمواجهة تحديات الحوار ، يجب أن يكون لدينا خطاب فكرى إسلامى خاص بقضية الحوار ، أن يكون هناك أدبيات .

للأسف نحن نفتقد أى أدبية جادة عالجت هذا الموضوع ، وتأهيل الخطاب يجب أن ينتبه فيه إلى بعض القضايا السريعة وهى قضية الاعتزاز بالإسلام ، والحفاظ على الهوية الإسلامية قضية لا تعنى رفض مبدأ الحوار ، ولا يعنى الحوار التفريط فى الهوية الإسلامية ، أو الاعتزاز بها ، كما أن هذا الأمر مع الحضارة الغربية والمسيحية والحضارات الشرقية ..... إلخ . فيجب أن يكون هناك فهم واضح .

إن الحوار ليس مدعاة لفقدان هويتنا أو الذوبان ، أو أن يكون الحفاظ على الهوية مدعاة للانغلاق فى مواجهة الحضارات الأخرى .

والدليل أن الجانب التاريخى الإسلامى يحمل شواهد كثيرة فى هذا الأمر .

وهذا يجب أن يثبت فى الخطاب الفكرى الإسلامى فى قضية الحوار .. الإسلام كدين يعتبر من الأديان التى تفاعلت مع ديانات أخرى كثيرة تمثل الحضارات الإنسانية ، يشهد له بأنه قد تفاعل مع هذه الحضارات المبنية على عقائد وأديان أخرى وحافظ على آثارها ، وحافظ على مؤسساتها ، ولم يكتف بالمحافظة عليها بل تفاعل معها تفاعلاً إيجابياً واستفاد من إيجابيتها ببناء نهضة إسلامية وإنسانية فى المناطق التى تواجد فيها المسلمون .

وأعتقد أن الشواهد التاريخية التى تحيط بالعالم الإسلامى مادياً تظهر أن هذه الحضارات آثارها مازالت موجودة وآثارها مازالت محترمة وانها مازالت جزءاً من الحضارة الإسلامية التى نعتقد كمسلمين أنها حضارة إنسانية فى نفس الوقت .

نعتقد أن الفكر الإسلامى يجب أن يظهر البعد الإنسانى للإسلام ، الجانب الإنسانى قد طمس ، وقد يكون هناك تبرير فى فترة من الفترات بأن المسلمين قد تعرضوا فى القرون الأخيرة لهجمة شرسة استعمارية وأحياناً هجمة ثقافية أدت إلى ردة فعل سلبية تجاه الحضارات الأخرى ، ولكننى أعتقد أن هذه القضية يجب أن تقدر بقدرها ولا يجب إسقاط آثارها على أطروحتنا المستقبلية ، كذلك يجب فى البداية إبراز المبادئ

والقيم الروحية والأخلاقية والاجتماعية الإسلامية بأبعادها الأخلاقية كمادة يستفاد منها ببعد عالمى ، نحن نعتقد أن الأزمة الإنسانية هى أزمة روحية أخلاقية . وان الإسلام كما فى باقى الديانات يحمل الكثير من القيم التى قد يكون لها تأثير إيجابى فى معالجة الأزمة الإنسانية .

كما ذكر الأستاذ الدكتور / أبو المجد ، كقضية الجيرة ، والعائلة ، والسلوك .

ونعتقد أنه لو تم تقنين قيمنا الإسلامية فى هذا الأمر وعرض بشكل عالمى سيقبل . إن الحضارات المنفتحة تقتبس من بعضها البعض ، المسلمون اقتبسوا من الحضارات الأخرى الكثير ، ونعتقد أن الحضارات الغربية الآن تقتبس من الحضارات الهندية والصينية حتى بعض القيم الاجتماعية وإن كانت على شرائح محدودة . نحن لا ندعو إلى نقل الإسلام واعتناقه ، وإنما ندعو إلى هذه القيم الإنسانية والاجتماعية للتعريف بها .

وسوف تكون ذات أثر إيجابى على الأزمة الإنسانية وتكون ذات أثر إيجابى على التلاحم والتواصل بين الحضارات .

أخيراً أعتقد أننا نحتاج إلى إيجاد آلية إسلامية وإننى قد ذكرتها أكثر من مرة . مبدأ الحوار يجب أن يذكر فيه الفضل فى هذا القرن لمؤسسات غربية ومسيحية . هى التى بادرت وقد لاقت فى البداية هذه الدعوات الكثير من التشكيك والتخوف ، وقد يكون لبعض هذا التشكيك الحق فى هذا التخوف .

ولكننى أعتقد الآن أنها أصبحت قضية عامة ومطلباً عاماً لإلغاء هذا التخوف وحتى تكون لدينا مصداقية يجب أن نطالب مؤسساتنا الإسلامية كمنظمة المؤتمر الإسلامى والأزهر الشريف وغيرها بإيجاد آلية إسلامية ، تكون هى المقابل لهذه الآليات والمؤسسات فى الحضارة الغربية أو غيرها للتعامل فى قضية الحوار الحضارى حتى يكون هناك أيضاً شئ من الموازنة لهذا الأمر وشئ من القناعة . وشكراً .

كلمة السيد / هيلموت شميت
مستشار ألمانيا السابق
التى ألقاها فى المؤتمر العام الثامن
للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أصحاب السعادة

السيدات والسادة

بداية سيدى الرئيس اسمحوا لى أن أعرب لكم عن تقديرى العميق لشخصكم لدعوتى كمسيحى لحضور هذا المؤتمر الإسلامى الذى لبيًت دعوته أملاً فى مزيد من الإدراك والمعرفة .

إن اهتمامى الشخصى بالإسلام ومساندة الحوار بينه وبين الديانات والحضارات الأخرى قد استهوانى طوال العقدين الماضيين بواسطة الرئيس أنور السادات لأنه كان مسلما عميق الإسلام والإيمان ، وفى الوقت نفسه كان هو الشخص والإنسان الوحيد الذى خطط وقاد عملية السلام بالشرق الأوسط والتى نجحت وتقدمت بفضل زيارته الشجاعة للكنيست الإسرائيلى ولكنها لم تكتمل بعد .

وإننى هنا أشترك مع الرئيس مبارك ومع آخرين فى الرغبة فى تحقيق آمالهم بإحلال السلام الكامل والشامل فى

الشرق الأوسط فى وقتنا الحالى . ولذا فإننى أتابع جهود الرئيس مبارك بكثير من الاهتمام والمشاركة الوجدانية .

عندما اغتيل السادات بواسطة الإرهابيين فَقَدَ شعبه والعالم بأسره قائدا بارزا . وبالنسبة لى شخصيا فقد فقدت صديقاً عزيزاً لدى وأيضاً مُعلماً شخصياً لى فقد علَّمنى أشياء كثيرة لم أكن على علم بأى شئ عنها .

تعلمت منه ما هو المشترك بين الأديان الثلاثة : المسلمين والمسيحيين واليهود بالنسبة لدياناتهم ، ومن هم الرسل ، وما هى معتقداتهم وما يؤمنون به جميعا . وهو الإله الواحد لا إله إلا الله . وبفضل السادات قد بدأت مؤخراً فى قراءة القرآن والتوراة واكتشفت أن السادات كان صائباً عندما علمنى وأخبرنى عن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ، لقد كان هو الشخص والإنسان الوحيد الذى علمنى أن الجذور التاريخية متماثلة فى الديانات الثلاثة والتى تقوم على التوحيد بالله وأن أساسها كان إبراهيم وموسى وأننا من نسلهم جميعاً وإننى مقتنع تماماً بأن السادات كان على حق وصواب تماماً فى تتبع الحوار والعمل للسلام فكان بهذا سابقاً لعصره لأن هذه الأفكار والمعتقدات كانت جديدة تماماً فى ذلك الوقت . أما هو فقد كان بحَّاراً يسلك طريق النجاة .

وعلى النقيض من ذلك ومنذ ثلاث سنوات مضت كان الأمريكى الأكاديمى " صمويل هانتجتن " قد نشر بحثاً حول عدم إمكانية تجنب أو تفادى التصادم بين الحضارات والديانات .

إننى أعتقد أن " هانتجتن " غير صائب تماماً بل مخطئ كلياً ومع هذا فإن بحثه يمكن الاستفادة به فى حالة إدراكنا لمدى الخطر الذى يحيق بمستقبل البشرية .

إننا كمسيحيين غربيين ليس لدينا إلا رؤية غير جلية وغير واضحة وغير كافية بالنسبة للإسلام . ولدينا أيضاً العديد من اليهود والهندوسيين وأيضاً من أتباع " كونفو شيوس الفيلسوف الصينى ومن الشيوعيين .

ولى صديق يابانى يدعى " تاكيو فاكودا " وهو بوذى كان قد نظَّم لقاء بين علماء المسلمين البارزين والهندوس والكهنة البوذيين والمطارنة وأساقفة البروتستانت وحاخامات اليهود وأيضاً ممثلين عن الكونفو شيوسية والشيوعيين بجانب ذلك مجموعة من رؤساء حكومات ودول سابقين .

ولقد حضرنا اللقاء ممثلين عن القارات الخمس واللقاء الذى أسهمت فيه قد انتهى إلى قرارات متصلة وناجحة ولذا فقد كررنا هذه اللقاءات المتماثلة منذ شهرين هذا العام فى فيينا بالنمسا .

وفى شهر مايو من هذا العام التقت مجموعة كبيرة من رؤساء الدول والحكومات السابقين وعقدوا اجتماعاً فى " فانكوفر " وبعد مناقشات مستفيضة وكافية قد أقروا وصدقوا على التضامن الثقافى والدينى الذى سبق طرحه فى فيينا .

سيدى الرئيس : هل تسمح لى بأن أستشهد ببعض الجمل والمقاطع التى نشرها " مجلس التفاعل " فى مايو ١٩٩٦م تحت عنوان : " الحاجة إلى مقاييس أخلاقية عالمية " .

بغير الأخلاق وكبح جماح النفس فإن العالم سيتحول إلى أدغال موحشة وسوف تسود شريعة الغاب .

إن ديانات العالم تكوِّن أهم نواميس الحكمة والعقل للبشرية أجمع .

إن أنماط سلوكنا تحتاج إلى ضبطها على التفانى والاخلاص وعلى المعايير والنماذج الأخلاقية ويمكننا أن نجد مصادر هذه المعايير والنماذج الأخلاقية فى الديانات العالمية والعادات الأخلاقية .

ومن الأخلاق العالمية أنه لا يوجد أى بديل للتوراة والإنجيل والقرآن وبها جكارتا (الكتاب المقدس للبوذيين) وتعاليم كنفو شيوس وغيرهم .

إن المفهوم العالمى للأخلاق يعطينا الحد الأدنى الضرورى من القيم العامة والمقاييس والمعايير والمواقف الإنسانية الأساسية .

وبعبارة أخرى فإنه يعطينا الحد الأدنى والأساسى من التوافق المتعلق بالقيم المترابطة والمعايير والمواقف الأخلاقية والذى تؤكده جميع الديانات .

ولهذا فإننا نوصى بمبدأين أساسيين لكل فرد ومجتمع :

* كل إنسان يجب أن يعامل بإنسانية .
* تعامل مع الآخرين كما تحب أن يعاملك الآخرون .

وهذا المبدأ جزء من المعتقدات الدينية .

وعلى أساس هذين المبدأين فإن هناك أربعة تعهدات لا يمكن أن تُنقض ، والتى تتفق عليها كل الديانات ونحن نساندها كلياً وهى :

- التعهد والالتزام بعدم استخدام العنف وضرورة احترام الحيـاة .
- الالتزام بالتضامن والتكافل فى النواحى الاقتصادية .
- خلق الوعى بالتسامح وتوفير حياة مبنية على الصدق .
- خلق الوعى بالمساواة فى الحقوق بين الرجل والمرأة والمشاركة بينهما فى المجالات المختلفة .

وبمضاهاة أوجه التقارب بين الأديان وجدناها كثيرة بالنسبة لسياسات وبرامج تنظيم الأسرة ووسائلها فقد أُتفق على أن التعداد الحالى للسكان يميل إلى جعل السعى وراء تنظيم الأسرة غير فعال .

ولذا فلابد من اشتراك الخبرات العديدة لبلدان كثيرة فى مجال تنظيم الأسرة مع الأبحاث العلمية فى كل مكان .

بداية من التعليم الأولى وحتى الجامعة يجب أن تشتمل البرامج والمناهج التعليمية والدراسية على تعليم القيم الخاصة بالتسامح الإيجابى ومنهاج الدراسة بالتبعية يجب أن يشمل دراسة نمو وتطور طموح الشباب والاهتمام به .

ومنظمة اليونسكو وجامعات الأمم المتحدة ومعاهدها وغيرها من الهيئات العالمية يجب أن تعمل سوياً لتحقيق هذا الهدف ومنهاج الإعلام الالكترونى يجب أن يدرس أيضاً .

وأذكر هنا بعض فقرات عن " مجلس التفاعل " بالنسبة " للتسامح الإيجابى " :

إن التسامح الإيجابى والفعال مرغوب كلياً وخاصة فى وقتنا الحالى حيث نرى الوصوليين والإرهابيين فى جميع

نواحى الحياة وجوانبها .

فمثلاً هناك العنف المسيحى فى أيرلندا وعلى أرض البوسنة ، والعنف اليهودى فى الشرق الأوسط وأيضاً العنف الإسلامى .

إنه سوء فهم خطير أن يعتقد بعض الجماعات أن الإرهاب متأصل ومتلازم فى الديانات الأخرى غير الدين الذى تدين به تلك الجماعات .

وفى الواقع إن سلام البشرية فى هذا العالم يحتاج إلى كثير من التسامح المتبادل بين ديانات الشعوب المختلفة ويجب علينا أن نتعلم كيف نتسامح التسامح النابع من الاحترام المتبادل وليس تسامحا ناتجا عن اختلافات أو إهمال .

صديقى :

إن رؤساء دول وحكومات سابقين يمثلون القارات الخمس مجتمعين يحثون معا جامعات الأمم المتحدة واليونسكو . وفى الحقيقة فنحن جميعاً نحث الجامعات المختلفة فى مائتى دولة فى العالم كى يُعلموا ويدرسوا لتلاميذهم الاحترام والتسامح لجميع الأديان فى العالم ويراعوا التضامن الدينى والثقافى المتبادل فيما بينهم ، وأن يكون ذلك ضمن المنهاج الدراسى المدرس لهم .

ومن هذا المنطلق فى التفكير فإننى أرحب من عميق قلبى بجهود المؤتمر الثامن للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية وأننى أؤيد وأشيد بدوركم ومشاركتكم الناجحة فى الحوار فى الواقع.

وبالنسبة للقرن القادم والذى سوف يبدأ بعد أقل من أربعة أعوام فإنه لا شئ يبدو مثيراً للتشاؤم .

يجب علينا أن نصل جميعاً إلى حالة من التعقل فى قراراتنا وحياتنا العامة ومعتقداتنا بحيث لا يكون هناك أى مسيحى يكره أو يحتقر أو يخاف الإسلام وأيضاً بحيث لا يكون هناك أى هندوسى يحتقر أو يرهب الإسلام ، وكذلك أن لا يكون هناك أى يهودى يستهين بالإسلام ، وبالطبع أن لا يكون هناك أى مسلم يحمل العداء لمعتنقى الأديان الأخرى .

وإننى فى النهاية أرجو من سيادتكم استيعاب وقبول النتيجة أو النهاية الحتمية الرئيسية التى إما أن نهلك من أجلها أو سوف ننميها وتزدهر بيننا وهى التعليم العالمى والانتشار العالمى للمبادئ الأخلاقية التى هى الأساس الذى تقوم عليها دياناتنا المختلفة .

إننى هنا أشكركم لحسن استماعكم لى كمسيحى يحمل الاحترام العميق للإسلام وللنبى محمد -صلي الله عليه وسلم- ويؤمن بوحدانية الله مثل إيماننا بوجودنا نحن فى الحياة .

بسم الله الرحمن الرحيم *

الحوار بين الأديان

للأستاذ الدكتور / **صوفى أبو طالب**
رئيس مجلس الشعب الأسبق
ورئيس جامعة القاهرة الأسبق

يطيب لى أن أسهم بهذا البحث الموجز فى المؤتمر العام الثامن للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية المنعقد بالقاهرة فى الفترة ما بين ١٩٩٦/٧/٢٤م و ١٩٩٦/٧/٢٦م عن الإسلام ومستقبل الحوار الحضارى .

أولاً : أهمية الحوار بين الأديان فى الوقت الحاضر:

يمر العالم اليوم - ونحن على أعتاب القرن الحادى والعشرين - بمرحلة تطور هامة فى تاريخ البشرية بعد الإنجازات الكبيرة التى تحققت نتيجة لثورتى المعلومات والاتصالات لدرجة أصبح معها العالم قرية صغيرة تتلاقى فيها الحضارات المتباينة والثقافات المختلفة وتتفاعل فيما بينها أحياناً وتتصارع أحياناً أخرى . وصاحب هذا التطور ظهور اتجاهين عالميين متناقضين

يستهدف أحدهما إقامة تكتلات اقتصادية أو سياسية بين بعض الشعوب المتجاورة ذات الأصول الحضارية المتقاربة . ويستهدف الاتجاه الثانى إحياء الصراعات الحضارية والعرقية والدينية داخل الدولة الواحدة بغية الانفصال عنها ، وكانت القوة المسلحة هى وسيلة تحقيق هذه الغاية . كما صاحب هذا التطور انقسام العالم إلى دول متقدمة غنية وأخرى متخلفة فقيرة ، وازدادت الفجوة بينهما حتى تحولت إلى جفوة انتهت باستعلاء الدول والشعوب المتقدمة والغنية وتمجيد حضارتها وما تقوم عليه من قيم ومبادئ بل والعمل على فرضها على الشعوب الفقيرة النامية .

وكان من أهم آثار كل هذه التطورات إذكاء روح الصراع القومى والعرقى والدينى فى معظم بلدان العالم شرقه وغربه ، واستشراء الإرهاب والعنف والتطرف . وساعد على ذلك أن الدول المتقدمة الغنية لا تكيل بكيل واحد فى الأحداث المتماثلة وتنحاز دائماً أبداً إلى ما يحقق مصالحها ويعلى من شأن حضارتها باعتبارها- فى نظرها - الأنموذج الأمثل لتقدم البشرية .

وكان للتطورات والظواهر سالفة الذكر آثارها فى العالم الإسلامى ، وزاد من خطورتها تعاظم وتنامى الصحوة الإسلامية التى تستهدف إحياء التراث الحضارى الإسلامى والعمل بأحكام الإسلام فى تنظيم أمور المسلمين الدنيوية ، سياسية كانت أو اجتماعية أو اقتصادية . وبدأت بوادر التصادم بين الحضارتين

الاسلامية والغربية بسبب تباين الأصول الحضارية . فالحضارة الغربية تعتمد على التراث الحضارى الكلاسيكى متمثلاً فى الفلسفة الإغريقية والقانون الرومانى كما أنها تنطلق من الفكر المسيحى الذى يفصل بين الدين والدولة . أما الحضارة الاسلامية فهى تعتمد على التراث الحضارى المستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، كما أنها تجمع بين الدين والدولة لأن الإسلام دين ودولة .

فالشعوب الاسلامية ترفض الانسلاخ عن جلدها ، وتقبل من الحضارة الغربية ما يتفق مع الأصول الاسلامية وترفض ما يناقضها ، والغرب يحاول فرض حضارته بكل عناصرها على الشعوب الاسلامية معتمداً فى ذلك على قوته العسكرية إبان مرحلة الاستعمار ثم على تفوقه الاقتصادى وتقدمه العلمى والتكنولوجى فى الوقت الحاضر . وجند لذلك عدداً من المستشرقين وبعض أبناء الأمة الاسلامية ممن بهرتهم الحضارة الأوربية . وفى الآونة الأخيرة أقامت الدول الغربية عدة مراكز بحوث تنقب فى بطون كتب التاريخ لإبراز مظاهر الضعف فى الحضارة الاسلامية فى فترات ركودها . وتتبنى آراء بعض المذاهب الشاذة فى الفكر الاسلامى وتتجاهل صورته الصحيحة . وزاد الطين بلة لجوء وسائل الإعلام الغربية إلى استغلال تصرفات بعض نظم الحكم فى البلاد الإسلامية والتفسيرات المغلوطة لبعض الأفكار الاسلامية بهدف تشويه صورة المسلمين ، بل امتد ذلك إلى الإسلام ذاته . كما دأبت على

بث روح الكراهية لدرجة العداء ضد الاسلام والمسلمين وصورت الصحوة الاسلامية بأنها الخطر الأكبر - واطلقت عليه الخطر الأخضر - الذى يهدد الحضارة الغربية بعد سقوط الاتحاد السوفيتى الذى كانت تطلق عليه الخطر الأحمر . وبعض ذلك يرجع إلى جهل الغرب بحقائق الاسلام أو تجاهله له .

ووضعاً للأمور فى نصابها وتبصرة للعالم بحقائق الإسلام اهتم المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالحوار بين الأديان بهدف تحقيق التعايش والتفاعل بين مختلف الحضارات والشعوب التى تدين بدين سماوى .

ثانيا : دور الدين فى المجتمعات المعاصرة :

من المعروف أن الديانة كانت تقوم بدور أساسى فى كل المجتمعات القديمة ، فرجل الدين والجندى كانا يتقاسمان الغلبة والسيادة فى كل المجتمعات القديمة ، وكانت الديانة هى التى تمد المجتمع بكل قيمه وأخلاقه ، كما أنها كانت صمام الأمان فيما يصيب المجتمع من أزمات ، وهى مصباح الهداية فيما يحققه من تطور .. ويثور التساؤل عن دور الدين فى المجتمعات المعاصرة حيث تسود النزعة المادية . واقع الأمر يدل على أن الدين مازال يقوم بدور أساسى فى المجتمع المعاصر . غير أن دوره يختلف تبعاً لطبيعة الدين ومضمون أحكامه ونظرة المجتمع إلى الديـن .

فالديانات السماوية الثلاث خرجت من مشكاة واحدة ومن ثم اتفقت فى الأصول والجوهر وإن تباينت فى التفصيلات والجزئيات . فهى كلها تقوم على التوحيد وتحض على الأخلاق الفاضلة وتنهى عن ارتكاب الكبائر ، فالوصايا العشر التى وردت فى التوراة رددها الإنجيل « أنا هو الرب إلهك . لا يكن لك آلهة أخرى أمامى . لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً . أكرم أباك وأمك . لا تقتل ولا تزن ولا تسرق ولا تشهد على قريبك شهادة زور ولا تشته أمرأة قريبك ولا تشته بيت قريبك ولا حقله ولا عبده ولا أمته . ولا كل ما لقريبك .» (تثنيه : الاصحاح : ٥) والانجيل بعد ما ردد هذه الأحكام زادها إيضاحاً وتفصيلاً (إنجيل متى الاصحاح : ٥) والقرآن الكريم والسنة النبوية أقرت كل هذه الأحكام وزادت عليها . وتتماثل الديانات الثلاث فى أسس العبادة ، فهى كلها تأمر بالصوم والصلاة والزكاة وإن اختلفت فى مواعيد أدائها ومقدارها وكيفية هذا الأداء . كما أنها تقترب من بعضها فى شئون العقيدة كالإيمان بالله الواحد وملائكته وكتبه ورسله ويوم البعث ..... الخ ولكنها تختلف فى أن الديانات اللاحقة تعترف بما سبقها من ديانات ولكن الديانات السابقة لا تعترف بما جاء بعدها . فالإسلام خاتم الرسالات السماوية ، يعترف بكل من المسيحية واليهودية كما سنرى . بينما المسيحية تعترف باليهودية السابقة عليها « لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض بل لأكمل » (انجيل متى : الاصحاح : ٥) . ولكن المسيحية لا

تعترف بالإسلام الذى جاء بعدها . واليهودية لا تعترف بالمسيحية ولا الإسلام لأنهما جاءا بعدها .

ومن ناحية أخرى يختلف مضمون الدين ونوع وجنس المخاطبين به فى الديانات الثلاث . فاليهودية خاصة ببنى اسرائيل ولذلك تميز فى الخطاب وما يتضمنه من حقوق وواجبات بين اليهودى وغير اليهودى . ومن أمثلة ذلك أنها تحرم الزواج بين اليهودى وغير اليهودى وتبيح الاقتراض بفائدة لغير اليهودى وتحرمه بين اليهود - ويزيد من أهمية تمييز اليهودى على غيره أن الشريعة اليهودية كانت تنظم شئون الدين والدنيا معاً . والجمع بين الدين والدنيا أدى إلى أن الديانة اليهودية تحيط بكل أمور الناس فى المجتمع . كما أن تمييز اليهودى على غيره أدى إلى سيادة العصبية الدينية .

والمسيحية تقوم على مبدأ الفصل بين الدين والدولة إعمالاً لقول السيد المسيح عليه السلام « ردوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » . ومن ثم اقتصرت على الهداية الروحية والأخلاقية وتنظيم شئون العبادة ، ولذلك انحصر أثرها على هذه الجوانب تاركة تنظيم الأمور الدنيوية للدولة . ولكن المسيحية ، مثلها فى ذلك مثل الاسلام وعلى خلاف اليهودية ، تخاطب البشر أجمعين دونما تمييز بين شعب وآخر . ونتيجة لذلك اختلفت النظم الدنيوية ، سياسية واقتصادية ، فى المجتمعات التى تدين بالمسيحية وان كانت كلها تتلاقى فيما يخص شئون العبادة والجوانب الروحية والأخلاقية . أما الإسلام فهو يتلاقى مع المسيحية من حيث كونه ديانة عالمية تخاطب البشر كافة دونما

تمييز بسبب العرق أو الدين أو اللغة .... الخ ويتلاقى مع اليهودية فى أنه تنظيم لشئون الدين والدنيا معاً . ومن ثم أحاط بكل صور سلوك الناس فى المجتمع فكان أثره عميقاً فى النفوس . ونتيجة لاعتراف الإسلام بكل من اليهودية والمسيحية فإنه أقر حرية العقيدة بقوله تعالى :

« لا إكراه فى الديــن »(١).

كما قرر المساواة بين المسلمين وأهل الكتاب فى الحقوق والواجبات ، وهو ما يعبر عنه العلماء بقولهم « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » .

والعمل بما تأمر به الديانات الثلاث يختلف فى العصر الحاضر تبعاً لنظرة المجتمع للدين . فهناك مجتمعات إلحادية تصف الدين بأنه أفيون الشعوب ولذلك تنحيه جانباً بل وتحاربه . وهناك مجتمعات علمانية ازداد عددها بعد الثورة الفرنسية . وهذه المجتمعات لا تتنكر للدين ولا تحاربه ولكنها تتركه لدخيلة النفوس ولا تلزم الدولة نفسها بنشره والحفاظ عليه ، وناطت هذه المهمة بالكنيسة فى الدول التى يدين أهلها بالمسيحية . وفى هذه المجتمعات مازال الدين منبعاً للقيم الرفيعة والأخلاق الفاضلة ، والكنيسة ومعها الرأى العام يتكاتفان فى غرسها فى النفوس وحمايتها . وهناك نوع ثالث من المجتمعات ، يندر وجوده الآن، يكل أموره إلى حكومة دينية من الكهنة تستمد سلطتها من الدين وتطبق أحكامه . والنوع

---

(١) البقرة : ٢٥٦ .

الرابع من المجتمعات هى المجتمعات غير العلمانية ، أى المجتمعات التى لا تترك الدين لدخيلة النفوس بل تلتزم الدولة بالحفاظ عليه ، وهى فى نفس الوقت لا تسلم أمرها إلى حكومة من الكهنة بل تقيم نظامها على أن الأمة مصدر السلطات مع التزام هذه السلطات بالأحكام القطعية التى تأمر بها الديانة . وهذه الصورة هى الغالبة فى المجتمعات الاسلامية . ولذلك نجد تشابهاً بينها يكاد يصل إلى درجة التماثل فى توجهاتها الاجتماعية والأخلاقية والثقافية .

ثالثاً : أهداف الحوار بين الأديان :

يهدف الحوار بين الأديان إلى التأكيد على القيم المشتركة بينها ، وعلى رأسها الإيمان بالله ، الأخلاق الفاضلة ، تكريم الإنسان والاعتراف بحقوقه . ويهدف من ناحية أخرى إلى التخفيف من حدة الخلاف بينها ، وهى كما سبق القول خلافات فى التفصيلات . والغرض النهائى من كل ذلك هو نبذ ثقافة الكراهية بين الأديان والتعصب لبعضها دون البعض الآخر . والكراهية والتعصب يؤديان إلى التطرف وهو يؤدى بدوره إلى العنف والإرهاب . وبذلك تتهيأ السبل إلى غرس الاحترام المتبادل بين الأديان مما يحقق إمكانية التعايش بينها وحسن الجوار بين أبناء الديانات السماوية . فتحل ثقافة المحبة والتآخى والتسامح الدينى محل الكراهية والتعصب الدينى . وفى ظل انتشار موجة الإلحاد المعاصرة والابتعاد عن القيم

الرفيعة والأخلاق الفاضلة التى تأمر بها الأديان فى مناخ تسيطر عليه ثورة المعلومات وثورة الاتصالات أصبح الحوار بين الأديان ضرورياً لأنقاذ الإنسانية مما تتردى فيه من فساد أخلاقى واضطهاد دينى وعنف وإرهاب . وقد دلت الأحداث على أن تكاتف الأديان فى الدفاع عن القيم الرفيعة والأخلاق الفاضلة يعصم الإنسانية من شططها ويردها إلى صوابها ، وخير مثال لذلك ما حدث فى مؤتمر المستوطنات البشرية فى تركيا هذا العام ، ومؤتمر المرأة فى بكين فى العام الماضى ومؤتمر السكان فى القاهرة فى العام قبل الماضى . فقد نجح ممثلو الأزهر الشريف وممثلو الفاتيكان فى تغيير المقترحات التى كانت تهدم الأسرة وتشيع الرذيلة تحت مسميات متعددة .

والحواربين الأديان يقتضى ، من ناحية ، التقريب بين المذاهب المختلفة داخل الديانة الواحدة ، (مثل الاختلاف بين المذهب الكاثوليكى والمذهب الأرثوذكسى والمذهب البروتستانتى داخل المسيحية ، والمذهب الشيعى ومذهب أهل السنة فى الإسلام) ويقتضى من ناحية ثانية تأكيد الاحترام المتبادل بين كل الديانات السماويــة .

والمشكلة التى تعترض ذلك تكمن فى أن الدين اللاحق يعترف بما سبقه من أديان ولكن الدين السابق لا يعترف بما جاء بعده من ديانات . فاليهودية لا تعترف لا بالمسيحية ولا بالإسلام ، والمسيحية لا تعترف بالإسلام ولكنها تعترف باليهودية ، والإسلام يعترف بكل من اليهودية والمسيحية . ويخفف من حدة

هذا الاختلاف أن الديانات الثلاثة تتلاقى حول جوهر العقيدة . كما يخفف منه إقرار المجتمع الحديث بحرية العقيدة وقسيمتها حرية الشعائر الدينية سواء فيما يخص العبادات أو المعاملات . فالتعايش السلمى بين أبناء الديانات السماوية داخل الدولة الواحدة وفى المجتمع الدولى كله لا يتحقق إلا بالتطبيق السليم لحرية العقيدة وشقيقتها حرية الشعائر الدينية مع التسليم بحق الدولة فى تنظيم ممارسة حرية الشعائر بما يتفق مع صالحها العام وقواعد النظام العام وحسن الآداب بشرط أن لا يؤدى هذا التنظيم إلى القضاء على أصل هذه الحرية . ومقتضى ذلك ألا يقتصر الحوار على ما تأمر به الديانات الثلاث أو تنهى عنه بل يجب أن يمتد إلى ما تطبقه الدول الحديثة من قواعد ونظم سواء كانت تتفق مع نظيرتها فى الديانات أو تختلف مع نظيرتها فى احدى الديانات أو معها كلها . ذلك أن التعصب الدينى من بين أسباب العنف والإرهاب فى العصر الحديث . فتجاهل بعض الدول لأحكام الديانات السماوية أو لأحكام ديانة بعينها يدفع بأبناء كل ديانة إلى التعصب لها ومحاولة فرض أحكامها بالقوة وتجاهل أحكام الديانات الأخرى مما يولد لدى الآخرين الشعور بالظلم والاضطهاد فيكون رد الفعل لدى أبنائها هو الالتجاء إلى العنف .

رابعا : موقف الاسلام من الديانات السماوية :

(١) تكريم الانسان بصفته انساناً :

يكرم الاسلام الانسان بصرف النظر عن دينه وأصله . وقد تعددت الآيات القرآنية التى ترفع من شأن الإنسان وفضله على كثير من المخلوقات :

« ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » (١) .

« لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم »(٢) .

واستخلفه فى الأرض :

« وهو الذى جعلكم خلائف الأرض »(٣) .

وسخر له ما فى الأرض وما فى السماء :

« ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض »(٤) .

وعلى الإنسان أن يتحمل مسئولية عمله ثواباً وعقاباً ، وعبر القرآن الكريم عن هذه المسئولية بحمل الأمانة :

« إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً » (٥) .

---

(١) الإسراء : ٧٠ .	(٢) التين : ٤ .	(٣) الأنعام : ١٦٥ .

(٤) لقمان : ٢٠ .	(٥) الأحزاب : ٧٢ .

والخطاب فى كل الآيات السابقة وغيرها مما يدور حول هذه المعانى موجه إلى الإنسان من حيث كونه إنساناً دونما اعتبار للونه وعرقه ولغته وديانته لا فرق فى ذلك بين مسلم وغير مسلم .

(٢) اعتراف الإسلام بالرسالات السابقة عليه :

ينفرد الإسلام بخاصية الاعتراف باليهودية والمسيحية ذلك أن الإسلام باعتباره خاتم الرسالات يخاطب البشر أجمعين ، ويعترف برسالات السماء التى سبقته ، فهى كلها خرجت من مشكاة واحدة ، فجوهره لا يختلف عما تلقاه الرسل السابقين . وهو ما أكده القرآن الكريم بقوله تعالى :

« ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم » (١) .

وتكرر نفس المعنى فى قوله تعالى :

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » (٢) .

والقرآن الكريم فى هاتين الآيتين وغيرهما لا يعبر عن الدين بصيغة الجمع بل دائماً أبداً بالمفرد تأكيداً لمعنى أنه دين واحد بالرغم من تعدد رسله ورسالاته . وهذا التعدد هو سنة الله فى خلقه لابتلاء الانسان واختباره .

---

(١) فصلت : ٤٣ .   (٢) الشورى : ١٣ .

« وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فى ما آتاكم ....» (١) .

والأحاديث النبوية تؤكد معنى تتابع الرسل لدين الله ، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : « الأنبياء إخوة لعلات ، أمهاتم شتى ودينهم واحد » وقوله أيضا : « إن مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة فى زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة . فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » .

وتعددت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تأمر بالإيمان بالله الواحد وكتبه ورسله نجتزئ منها قوله تعالى :

« والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون » (٢) .

وقوله تعالى :

« ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون » (٣) .

---

(١) المائدة : ٤٨ . (٢) البقرة : ٤ . (٣) البقرة : ٨٧ .

وقوله تعالى :

« قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون »(١) .

(٢) حرية العقيدة :

إن حرية العقيدة تعنى عدم إلزام شخص على القبول بعقيدة لا يؤمن بها أو الخروج من عقيدة دخل فيها ، كما تعنى عدم جواز إكراه شخص على ممالأة إحدى الديانات تحاملاً على غيرها سواء بإنكارها أو ازدرائها أو التهوين من شأنها والحط من قدرها .

وحرية العقيدة لا تنفصل عن حرية ممارسة شعائرها وما قضت به من أحكام لأنهما قسيمان متكاملان ومتلازمان . فهذه الممارسة هى التى تنتقل بالعقيدة من مجرد الإيمان بها إلى التعبير عن محتواها بتطبيقها . إذ الإيمان كامن فى النفوس ومحفوظ فى الصدور ، والممارسة هى مظهره الخارجى تكشف عنه وتدل عليه . فالتسليم بحرية العقيدة دون حرية ممارسة أحكامها وشعائرها يعنى إعدام حرية العقيدة بحبسها فى الصدور . وإذا كانت حرية العقيدة فى شقها الإيمانى الكامن فى النفوس من الأمور التى يستحيل تقييدها أو وضع ضوابط لها

---

(١)البقرة : ١٣٦ .

فإنها فى شقها المتعلق بممارسة مظاهر الإيمان تقبل التقييد والتنظيم مراعاة لصالح المجتمع وحماية للديانات الأخرى وحقوق الآخرين وحرياتهم حتى يتحقق الاحترام المتبادل بين الديانات والحقوق المختلفة . وحرية ممارسة ما تقضى به الديانة من أعمال وتصرفات يندرج تحتها حرية ممارسة الشعائر الدينية فى أمور العبادات من صلاة وصوم .... إلخ وحريته فى ضبط سلوكه فى المجتمع فى ضوء ما تأمر به ديانته أو تنهى عنه سواء فى ذلك مأكله وملبسه ومشربه وعلاقاته الاجتماعية مع الآخرين من زواج وطلاق وبيع .... إلخ . ومن البديهى ألا يؤدى تقييد الدولة لحرية ممارسة الشعائر الدينية سواء فى العبادات أو المعاملات ، إلى القضاء على أصل هذه الحريـــة .

ومن المعروف والثابت أن الإسلام قرر حرية العقيدة وكفلها لكل الديانات السماوية بصورة قاطعة لا تحتمل لبساً ولا تأويلاً . فسبحانه وتعالى يقول :

« لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم »(١) .

وبذلك قضى الاسلام على التعصب الدينى الذى استشرى فى كل المجتمعات وجر عليها ويلات كثير من الحروب ولم تتخلص منه البشرية إلا بعد الثورة الفرنسية وما قررته المواثيق

---

(١)البقرة:٢٥٦ .

الدولية فى العصر الحاضر من حقوق للإنسان وعلى رأسها حرية العقيدة.

وأكد القرآن الكريم هذا المبدأ فى عدة آيات منها :

« وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .... إلخ »(١).

وقوله تعالى :

« ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين »(٢).

وإعمالاً لحرية العقيدة فى الإسلام كانت الدعوة إليه بالحسنى . وهو ما أكده القرآن الكريم فى عدة آيات منها قوله تعالى :

« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن »(٣).

ولا يقف الإسلام عند حد تقرير المبدأ بل يمنع كائناً من كان أن يحاسب الكفار على كفرهم فى الحياة الدنيا بل جعل ذلك من حق الخالق وحده يحاسب عليه فى الحياة الآخرة . من ذلك قوله تعالى :

« وإن ما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب »(٤).

---

(١) الكهف : ٢٩ . (٢) يونس : ٩٩ .

(٣) النحل : ١٢٥ . (٤) الرعد : ٤٠ .

وقوله تعالى :

« ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل »(١) .

ومن التجنى على الاسلام ما يروجه بعض الباحثين فى الغرب من أن الاسلام انتشر بقوة السلاح فى أعقاب الفتوحات الإسلامية الكبرى فوقائع التاريخ تكذب ذلك . فالإسلام لم ينتشر فى هذه البلاد إلا بعد مضى عدة قرون على الفتوحات وكانت أهم أسباب انتشاره سماحته ومخالطة المسلمين لغيرهم . والدليل القاطع على ذلك أنه انتشر فى بلاد لم يفتحها المسلمون نتيجة لمخالطة ومعاشرة المسلمين من التجار وغيرهم ، وهو اليوم ينتشر فى بلاد ليس للمسلمين عليها سلطان . كذلك لا محل للقول بأن الإسلام انتشر بسبب إكراه غير المسلمين على دفع الجزية فلا يستسيغ العقل أن يتحول غير المسلم إلى الإسلام هروباً من دفع مبلغ تافه لا يتجاوز دينارين فى السنة . وتتجلى حرية العقيدة بأعلى معانيها فى بعض العلاقات الخاصة مثل الزواج بين مسلم وكتابية ، فبعض المذاهب الإسلامية (كالشافعية) تحرم على الزوج أن يفاتح زوجته الكتابية فى أمر تحولها إلى الإسلام ولو بمجرد النصيحة . وبعضها الآخر يحرم على هذا الزوج منعها من ممارسة شعائرها الدينية بل تلزمه بأن يصاحبها إلى دور عبادتها لأداء هذه الشعائر .

---

(١)الأنعام:١٠٧ .

وبعض الباحثين الغربيين ومعهم بعض العلمانيين فى العالم الإسلامى يتهم الإسلام بالتعصب الدينى المخالف لحرية العقيدة ويتخذ من عقوبة الردة المقررة فى الإسلام دليلاً على ذلك . وواقع الأمر أن الإسلام مثله فى ذلك مثل كل الديانات - يحمى نفسه ضد من يعتنقونه ثم يرتدون عنه . فالمسيحية توقع عقوبة على من يرتد عنها هى عقوبة الطرد من رحمة الكنيسة ومن أهم آثارها عزله عن المجتمع المسيحى وتحريم التعامل معه . والحال كذلك فى اليهودية إذ يعاقب المرتد بعقوبة الحرمان الكبير بعد استتابته ثلاث مرات ، وإجراءاته شبيهة بالاجراءات المتبعة فى الردة فى الإسلام . والاختلاف بين المسيحية من ناحية واليهودية والإسلام من الناحية الأخرى يرجع إلى أن عقوبة الحرمان تطبقها الكنيسة المسيحية دون تدخل من الدولة بينما عقوبة الردة تطبقها الدولة فى كل من اليهودية والإسلام لأن طبيعة المسيحية الفصل بين الدين والدولة ولكنهما يجتمعان فى اليهودية والإسلام .

وعقوبة الردة شبيهة من كثير من الوجوه بعقوبة إسقاط الجنسية التى تطبقها الدولة الحديثة ضد مواطنيها الذين يرتكبون أفعالاً تمس سلامة المجتمع وأمنه .

ومقتضى حرية العقيدة تمكين غير المسلمين من أهل الكتاب من أداء شعائرهم الدينية فى دور العبادة الخاصة بهم والسماح بإقامتها وترميم ما يتهدم منها . وكتب التاريخ خير شاهد على ذلك سواء فى ذلك ما كتبه المؤرخون المسيحيون والمؤرخون المسلمون .

ولم يكتف الإسلام بكفالة حرية العقيدة وقسيمتها حرية الشعائر الدينية فى خصوص العبادات بل تمتد هذه الحماية إلى أحكام المعاملات الواردة فى الديانات السماوية السابقة على الإسلام كما سنرى .

(٤) المساواة بين المسلمين وأهل الكتاب (لهم مالنا وعليهم ما علينا) :

جرى العلماء فى الاسلام على استعمال تعبير العدل للدلالة على المساواة اشتقاقاً من المعنى اللغوى لكلمة العدل التى تعنى التسوية فى المعاملة ، ويتحدثون عن العدل بمعانيه العديدة ، سياسية واجتماعية واقتصادية .

وقد تقرر مبدأ المساواة فى عديد من الآيات القرآنية والسنة النبوية لأنها شريعة سماوية تخاطب البشر أجمعين دونما تمييز بسبب الدين أو اللغة أو الأصل أو الحرفة أو الطبقة الاجتماعية . ولذلك أمرت بالعدل ونهت عن نقيضه وهو الظلم . من ذلك قوله تعالى :

« إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » (١) .

والحديث الشريف يقول : « أحب الخلق إلى الله إمام عادل ، وأبغضهم إليه إمام جائر » .

---

(١) النساء : ٥٨ .

وإعمالاً لهذا المبدأ أجمع العلماء على أن جور الحاكم من بين أسباب عزله بل إن بعض المذاهب تجيز الخروج عليه والثورة ضده بسبب جوره . والأمر بالعدل والنهى عن الظلم خطاب عام للمسلمين وغيرهم ولذلك حرص الإسلام على أن يفرد بالذكر العدل مع الأعداء . من ذلك قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى .....»(١) .

ويمتد الحكم بالعدل إلى المشركين من غير أبناء دار الاسلام لقوله تعالى :

« وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه »(٢) .

وحسن المعاملة ينصرف أيضاً إلى أسرى الحرب لقوله تعالى :

« ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً »(٣) .

ومن جماع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية سالفة الذكر صاغ الفقهاء مبدأً عاماً يقول فى خصوص أهل الكتاب « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » وفى هذا الصدد يفرق العلماء بين العبادات والمعاملات . ففى العبادات يخضع أهل الكتاب لما يأمر به دينهم ولو كان مخالفاً للإسلام تطبيقا لمبدأ لا إكراه فى

---

(١) المائدة : ٨ . (٢) التوبة : ٦ . (٣) الإنسان : ٨ .

الدين . أما فى المعاملات فإنهم يخضعون لذات الأحكام التى يخضع لها المسلمون باستثناء ما كان منها مرتبطاً بالدين وهى ما تعرف اليوم بالأحوال الشخصية من زواج وطلاق وغيره إذ أجاز الفقهاء خضوعهم لما يأمر به دينهم ، وكذلك الحال فى أحكام بعض المعاملات التى يأمر بها دينهم رغم مخالفتها لأحكام الاسلام مثل شرب الخمر وأكل لحم الخنزير . وهذه الاستثناءات هى فى حقيقتها تطبيق لحرية العقيدة وفى نفس الوقت فيها خروج على مبدأ إقليمية القانون السائد فى العالم المعاصر حيث يخضع كل الناس بصرف النظر عن دينهم لقانون البلاد التى يعيشون فيها ، وهو ما نؤمل أن تطبقه الدول المسيحية على المسلمين الذين يعيشون فيها سواء كانوا يحملون جنسيتها أم كانوا من الأجانب . وقد حاول بعض كتاب الغرب إنتقاد الفكر الإسلامى فى خصوص اخضاع غير المسلمين لأحكام الشريعة الإسلامية بمقولة أن فى ذلك خروج على حرية العقيدة . فالواقع أن المسيحية - كما سبق القول - اقتصرت على الجوانب الروحية والأخلاقية وشئون العبادة وتركت تنظيم الأمور الدنيوية للدولة ومن ثم اختلف القانون المطبق فى البلاد المسيحية رغم وحدتها الدينية سواء كان مصدر هذا القانون دينياً أو وضعياً . فتطبيق الشريعة الاسلامية على غير المسلمين لا يمس عقيدتهم ولا يمتد إلى ما أمرت به المسيحية من تنظيمات دنيوية فى خصوص الأحوال الشخصية وغيرها .

وتطبيقاً لمبدأ « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » فإن لأهل الكتاب من غير المسلمين حق حمل جنسية الدولة الإسلامية التى يعيشون فيها ، فهم - حسب تعبير الفقهاء المسلمين - من أهل دار الإسلام أى وطنيون بحسب التعبير الحديث . وينعمون بالعصمة فى أنفسهم وأموالهم وأعراضهم داخل دار الإسلام مثلهم فى ذلك مثل المسلمين . وتمتد هذه العصمة إلى الأجانب الذين يفدون إلى دار الإسلام بإذن دخول ويصفهم الفقهاء بوصف المستأمنين . ولا يوصد فى وجه أهل الكتاب من الوطنيين باب من أبواب التجارة أو العمل فى الدولة أو لدى الأفراد . ولهم مثل المسلمين ، ممارسة سائر الحقوق الخاصة ، حق التملك ، حق العمل ، حرمة المسكن ، حرية التنقل ، الحق فى التعليم والحق فى الضمان الاجتماعى .... الخ . وتجيز الشريعة الاسلامية الوصية رغم اختلاف الدين لأن فيها معنى الصلة ، وكل الأديان تقوم على التواصل والتراحم . ومن ثم تجوز وصية المسلم لغير المسلم وتجوز وصية غير المسلم للمسلم . ولذات السبب يصح الوقف من المسلم وغير المسلم على جهة من جهات البر والخير ويفيد منها المسلم وغير المسلم . وتسمح الشريعة الإسلامية للمسلم بالزواج من الكتابيات ولكنها لا تسمح للمسلمة بالزواج من الكتابى . ويتمتع غير المسلم من أهل الكتاب بسائر حقوق القانون العام مثل الحق فى الترشيح للمجالس النيابية ، حق الانتخاب ... الخ وهو ما يجرى عليه العمل فى كل البلاد الإسلامية فى العصر الحاضر .

وينهى الإسلام عن التعصب الدينى ويأمر بالتسامح مع غير المسلمين من أهل الكتاب ولا يجيز التطاول عليهم . من ذلك قوله تعالى :

« ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون »(١) .

وقوله تعالى :

« قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً »(٢) .

كما يأمر الإسلام بالبر بأهل الكتاب فى قوله تعالى :

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين » (٣) .

ولذلك أباح الإسلام على خلاف بعض النظم الوضعية وبعض النظم الدينية - مخالطة غير المسلمين ومساكنتهم ومؤاكلتهم بل والسماح لهم بالزواج من الكتابيات وكانت هذه المخالطة أحد أهم أسباب انتشار الإسلام فى الماضى والحاضر ولا يجوز الالتفات إلى بعض الأحداث الاستثنائية التى أدت إلى مضايقة

---

(١) العنكبوت : ٤٦ . (٢) آل عمران : ٦٤ .

(٣) الممتحنة : ٨ .

أهل الكتاب فى دار الإسلام ، فهى فى الغالب الأعم تقع من الأفراد وسرعان ما يتدخل ولى الأمر لوضع حد لها .

والدولة كانت لا تتدخل وتضيق على غير المسلمين فى زيهم ومركبهم ومأكلهم وما يشغلونه من وظائف إلا فى ظروف استثنائية كرد فعل لعدوان على المسلمين فى البلاد الأجنبية كما حدث إبان الحروب الصليبية . وسرعان ما تعود الأمور إلى مجاريها بزوال الأسباب . ويثور جدل بين العلماء حول أربعة أمور : تولى غير المسلمين لبعض الولايات (الوظائف العامة) ، تولى غير المسلم القضاء بين المسلمين ، شهادة غير المسلم على المسلم .

الجزية : يسمح الإسلام - كما سبق القول - لغير المسلم بشغل سائر الوظائف العامة فى الدولة إدارية كانت أو سياسية وعلى رأسها منصب الوزارة ، ولكنه يستثنى من ذلك المناصب ذات الطابع الدينى مثل الخلافة والإمارة على الجهاد . وهو أمر طبيعى لأن الإسلام دين ودولة فى ذات الوقت . والكثرة الساحقة من أبناء دار الإسلام من المسلمين . وبعض الدساتير الحديثة فى الدول المعاصرة المتقدمة ، مثل دول اسكندينافيا ، تشترط فى رئيس الدولة أن يكون من دين أكثرية السكان .

والجزية نظام معروف فى كل الشرائع القانونية القديمة وسقطت بقيام الثورة الفرنسية . ولكن أسباب وجوبها وشروطها تختلف فى الإسلام عنها فى هذه الشرائع . ففيها كانت دليلاً على الخضوع والتبعية للدولة الفاتحة ، ومن ثم

تطبق على كل أبناء البلاد المفتوحة دون تفرقة بين ذكر وأنثى ودون تفرقة بسبب الدين أو الجنسية ولا يعفى منها إلا أبناء البلد المنتصر . أما فى الإسلام حسبما انتهى اليه رأى جمهور العلماء فهى تجب على أهل الكتاب فى دار الإسلام مقابل حقن دمائهم وبديل لنصرة أهل دار الإسلام ، أى مقابل حماية أرواحهم وممتلكاتهم وتوفير الأمان لهم فضلاً عن كونها بديلاً عن ضريبة الدم لأنهم كانوا لا يجندون فى الجيش الإسلامى إذ كانت الخدمة العسكرية تطوعية ولذلك كانت لا تجب الجزية على غير القادرين على حمل السلاح مثل الشيوخ والنساء والأطفال والرهبان .... الخ . فهى ليست دليلاً على أنهم فى مرتبة أدنى من المسلمين . ولذلك فسر الإمام الشافعى كلمة الصغار الواردة فى الآية الكريمة :

« حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » (١) .

بمعنى جريان حكم الإسلام عليهم . ولذلك تسقط الجزية إذا عجزت الدولة عن حمايتهم كما تسقط إذا انخرط الشخص برضاه فى الدفاع عن دار الإسلام . والسوابق التاريخية تدل على ذلك ، ومنها المعاهدات العديدة التى تمت بين قواد الجيوش الإسلامية داخل البلاد المفتوحة من أهل الكتاب إذا قاموا بالدفاع عن البلاد الإسلامية . ولما كان التجنيد فى العصر الحاضر إجبارياً سقطت الجزية لأن الحكم يدور مع العلة وجوداً وعدماً .

---

(١) التوبة : ٢٩ .

وبالنسبة لتولية غير المسلم القضاء بين المسلمين أو غير المسلمين . فقد ذهب جمهور العلماء إلى عدم جوازه باستثناء الحنفية الذين أجازوه بين غيرالمسلمين . وفريق من علماء الشريعة المحدثين أجاز تولى أهل الكتاب القضاء بين المسلمين باستثناء مسائل الأحوال الشخصية ، فضلاً عن إجازته له فيما بين غير المسلمين ، وهو ما يجرى عليه العمل فى الوقت الحاضر . ونفس الخلاف يثور بالنسبة للشهادة ، ويجرى العمل على قبول شهادة غير المسلم على المسلم وشهادة المسلم على غيرالمسلم ، كل ذلك باستثناء الأحوال الشخصية بالنظر لصلتها الوثيقة بالدين .

خامسا : موضوعات الحوار بين الأديان :

يتعين علينا أن نحدد الموضوعات التى يتناولها الحوار فى ضوء الهدف منه ، وهو المعايشة السلمية بين الأديان وفى حدود المبادئ والقواعد المرعية فى المجتمع الدولى وعلى رأسها حرية العقيدة ومبدأ المساواة ، وكل ذلك دون المساس بالأصول الثابتة فى كل ديانة من الديانات السماوية الثلاث إعمالاً لفكرة الاحترام المتبادل بين الأديان ودون المساس بسيادة كل دولة على أراضيها . ولا يتسع المجال هذا لحصر كل الموضوعات وبيان أوجه الاتفاق والاختلاف . ولذلك سنكتفى بذكر رؤوس بعض الموضوعات :

أ - أمور العقيدة والعبادة :

من المعروف أن الديانات السماوية تتفق فى جوهر العقيدة ولكنها تختلف فى مدى اعتراف كل منها بالديانات الأخرى إذ السابقة لا تعترف بما جاء بعدها ، واللاحقة تعترف بما سبقها. ولكن يخفف من آثار ذلك التطبيق الصحيح لحرية العقيدة ومبدأ المساواة بين الناس دون تمييز بسبب الدين . وإعمال هذين المبدأين يؤدى إلى حلول التسامح محل التعصب الدينى . ويظهر أثر ذلك فى عدم جواز إكراه الناس - بطرق صريحة أو ملتوية - على اعتناق دين معين وعدم انتقاص حقوق الأقليات الدينية داخل الدولة سواء كانوا مواطنين أو أجانب فى حدود الحقوق المقررة دولياً للأجانب .

ومقتضى ذلك تمكين الأقليات الدينية من ممارسة شعائرهم الدينية فى حرية ويسر . ويكون ذلك بالسماح لهم بإقامة دور لعبادتهم تتفق مع عددهم ، الحفاظ على ثقافتهم الدينية عن طريق المراكز الثقافية أو تعليم دينهم داخل المدارس الحكومية أو الأهلية ، التوفيق بين مقتضيات أعمالهم وأدائهم لشعائرهم الدينية فى أوقاتها المحددة فى ديانتهم من صلاة وصوم وحج وخلافه ، مراعاة أعيادهم وأجازاتهم الدينية الرسمية ، احترام أحكام دينهم فى المأكل والملبس والمشرب .

ويثور تساؤل فى الدول العلمانية عما إذا كان التسامح فى أمور العقيدة والعبادة يتنافى مع مبدأ العلمانية الذى يفصل بين الدين والدولة ويترك أمور الدين لدخيلة النفوس تحت

رعاية الكنيسة بعيداً عن الدولة . واقع الأمر أن هذا التسامح لا يتنافى مع مبدأ العلمانية إذ يقتصر أثر هذا المبدأ على عدم إقحام الدولة نفسها فى الشئون الدينية وعدم السماح للكنيسة بالتدخل فى الشئون الدنيوية التى تقوم بها الدولة ، بل إن مبدأ حرية العقيدة يلزم الدولة بتمكين المؤمنين بدين معين من ممارسة شعائر دينهم لمن أراد منهم ممارستها والحال على خلاف ذلك فى الدول الإلحادية لأن هذه الدول تحارب الديـن .

ويثور تساؤل آخر حول ما إذا كان التسامح الدينى يتنافى مع مبدأ سيادة الدولة على أراضيها وهو مبدأ أساسى فى العلاقات الدولية . ونستطيع أن نؤكد دون أدنى تردد أنه لا يوجد أدنى تناقض بين مبدأ سيادة الدولة على أراضيها ومبدأ التسامح الدينى النابع عن حرية العقيدة لأن الدولة بإرادتها هى التى تنظم تطبيق مبدأ التسامح الدينى ، فهى التى تصدر إذناً ببناء دار للعبادة ، وهى التى تسمح بتدريس الدين فى مدارسها أو فى التعليم الخاص ..... إلخ .

ويتباين مسلك الدول المعاصرة فى خصوص تطبيق مبدأ التسامح . فى الدول الإسلامية لا تثور أدنى مشكلة لأنها تطبق مبدأ « لا إكراه فى الدين » أى حرية العقيدة ، ومبدأ « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » أى المساواة . وهى مطبقة تطبيقاً كاملاً – كما سبق أن رأينا– أما الدول المسيحية فبعضها اعترف بالإسلام حديثاً بعد تزايد عدد المسلمين بأوربا بما يفوق ستين مليون نسمة. وطبق مبدأ التسامح تطبيقاً كاملاً أو جزئياً وعلى رأسها

الفاتيكان الذى اعترف بالإسلام كدين منذ عام ١٩٧٦ ، بلجيكا اعترفت به منذ عام ١٩٧٤ وسمحت بتدريسه فى المدارس الحكومية للمسلمين ، النمسا اعترفت به منذ عام ١٩١٢ وتدرسه بالمدارس الحكومية ، كندا اعترفت به وتدرسه للمسلمين بمدارسها ، وألمانيا تسمح بتدريس الإسلام للمسلمين منذ عام ١٩٩٥ رغم أنها لم تعترف به رسمياً . وبعض الدول الأوربية ، مثل فرنسا وإيطاليا وانجلترا والولايات المتحدة الأمريكية ، لا تعترف رسمياً بالإسلام بالرغم من كثرة عدد المسلمين بها (ثلاثة ملايين فى أمريكا وأربعة ملايين فى فرنسا وثلاثة ملايين فى انجلترا) ولكنها تسمح بتدريسه فى مدارس خاصة بالمسلمين كما تسمح بإقامة مساجد للمسلمين فضلاً عن السماح بنشاط ثقافى اسلامى واسع .

وتزداد فى هذه الدول موجات ثقافة الكراهية للإسلام والمسلمين وإحياء التعّصب الصليبى باسم القومية .

ولعل الحوار بين الأديان ينتهى باعتراف هذه الدول بالإسلام كدين سماوى وما يترتب على ذلك من إقرار لمبدأ التسامح الدينى . ويزيد من غرابة الأمر فى هذا النوع من الدول التى لا تعترف بالاسلام كثرة عدد المسلمين بها من ناحية ، وتمتع عدد كبير منهم بجنسية هذه الدول من ناحية ثانية وأثرهم الواضح فى المجتمع من ناحية ثانية . ويزيد من شعور المسلمين بالظلم والاضطهاد أن هذه الدول تتسامح بصورة مطلقة مع اليهود وتضيق على المسلمين .

أما الدولة اليهودية وهى إسرائيل ، فإن مسلكها يتراوح ما بين التسامح مع العرب المسلمين والمسيحيين والتعصب ضدهم لأن سياسة الدولة حولت اليهودية إلى صهونية متعصبة وبعض الأحزاب السياسية بها يقوم على أصول دينية وبعضها الآخر يقوم على أسس علمانية ولكنه يلتزم بالمبادئ التى تنادى بها الأحزاب الدينية ويشركها معها فى الحكم ، فاصطبغ نظام الحكم فى اسرائيل بصبغة دينية مستمدة من التوراة . وقد أدى هذا الوضع إلى انتشار التعصب الدينى لأن الديانة اليهودية ، كما سبق القول ، خاصة باليهود وحدهم وتميزهم على غيرهم من أبناء الديانات الأخرى . ومن أشد الأحزاب تعصباً حزب الليكود والأحزاب الدينية .

(ب) المعاملات :

.يواجه الحوار بين الأديان عقبة كبرى تتمثل فى أن كلاً من اليهودية والإسلام يجمع بين الدين والدولة فلا يكتفى بتنظيم الجوانب الاخلاقية للمجتمع والجوانب الروحية من عقيدة وعبادة ، بل يضيف إلى ذلك أحكاماً لتنظيم الشئون الدنيوية من سياسية وقانونية واقتصادية . ويضع بجانب الجزاء الأخروى جزاءً دنيوياً توقعه السلطة الحاكمة ضد المخالفين دون تمييز بين ما يخص شئون العقيدة والعبادة وما يتعلق بالأخلاق وما ينظم الأمور الدنيوية . وبعض الأحكام ورد فى صورة قاطعة وأبدية لا تقبل التأويل ولا التعديل ، وأكثر الأحكام ورد فى

صورة مبادئ عامة وقواعد كلية تقبل الاجتهاد والتغيير فى إطار الروح العامة للشريعة .

وناطت اليهودية تفسير الأحكام الواردة فى الكتب المقدسة بهيئة دينية مقفلة تتكون بطريقة معينة ، وجعلت لتفسيرها قوة إلزامية يمتثل لها الحاكم والمحكوم . أما فى الإسلام فإن تفسير الأحكام - الواردة فى أدلة الحكم من كتاب أو سنة أو غيرهما - وشرحها يقوم عليه جماعة يطلق عليهم وصف المجتهدين ، وهذه الصفة لا تتوارث ولا تمنح بقرار من ولى الأمر ولا بالانتخاب من الأمة ولكنها صفة يكتسبها الشخص ، أياً كان لونه أو أصله أو حسبه أو ماله ، إذا توافرت فيه شروط علمية محددة . وليس لآراء المجتهدين صفة الإلزام ما لم تكن محل إجماع منهم . كما يكتسب رأى المجتهد صفة الإلزام إذا تبناه ولى الأمر ، أى السلطة المختصة بالتشريع ، والاجتهاد لا يكون أبداً فى الأحكام القطعية إذ لا اجتهاد مع النص مثل المواريث ، وينحصر دوره فى الأحكام غير القطعية فى إطار الروح العامة للتشريع الإسلامى ، ويعبرون عن ذلك بقولهم « جواز تغير الأحكام بتغير الزمان » أما المسيحية كما سبق القول - فهى تفصل بين الدين والدولة وتقتصر رسالتها على أمور الدين من عقيدة وعبادة فضلاً عن الأخلاق الفاضلة . ويقوم على تفسير هذه الأحكام هيئة مقفلة من رجال الدين ولقراراتها قوة إلزامية - أما الأمور الدنيوية من سياسة وقانون واقتصاد وغيرها فهى متروكة للدولة تنظمها وتجازى عن مخالفتها دون

تدخل من الكنيسة . غير أن الكنيسة أقحمت نفسها فى الأمور الدنيوية طيلة العصور الوسطى ، ونتج عن ذلك ظهور ما يعرف بالقانون الكنسى ، وهو مازال رافداً من روافد الحضارة الغربية المعاصرة ، ودوره مازال ظاهراً فى مسائل الأحوال الشخصية فى البلاد المسيحية . ويبين من كل ذلك أن مفهوم الدين فى المسيحية أضيق منه فى اليهودية والإسلام .

ويثور التساؤل عن كيفية التوفيق بين حرية العقيدة من جهة ومبدأ العلمانية ومبدأ سيادة الدولة على أراضيها من جهة ثانية .

. ان هذا التساؤل لا محل له فى الإسلام ولا فى اليهودية لأن كلتاهما تعتبر أحكام المعاملات جزءاً لا يتجزأ من أحكام الديانة فى الحدود التى أشرنا إليها . فغير المسلمين يسمح لهم بالسير على هدى ما ورد فى ديانتهم من أحكام ولو كانت مخالفة للشريعة الإسلامية ، ويظهر ذلك فى مسائل الأحوال الشخصية وبعض صور المعاملات حسبما أوضحنا من قبل . ولكن الجدل يثور فى البلاد المسيحية حيث يسود مبدأ العلمانية وهو النظام السائد فى معظم المجتمعات الغربية . وقد سيطر على هذه المجتمعات اتجاهان : اتجاه يعلى من شأن العقل البشرى ويتنكر للدين أو يتركه لدخيلة النفوس أو يأخذ منه ما يتفق مع العقل البشرى وواقع المجتمع . وهذ الاتجاه يستمد أفكاره من التراث الكلاسيكى (الفلسفة الاغريقية والقانون الرومانى) أما الاتجاه الثانى فإنه يعلى من شأن الدين ويجعل من العقل

خادماً مطيعاً للإيمان وهذا الاتجاه يستمد فكره من التراث المسيحى . وقد تناوب الاتجاهان الغلبة فى حكم المجتمعات الغربية وانتهى الأمر بسيادة الاتجاه الأول وتجسد فى العلمانية . ووصل الأمر بهذه المجتمعات إلى حد اعتبار قيم الاتجاه العلمانى من المقومات الأساسية للمجتمع التى لا تجوز مخالفتها . وتوفيقاً بين أفكار الاتجاه العلمانى الذى تتبناه الدولة والتراث المسيحى الذى ترعاه الكنيسة ألزمت الدولة من يقيمون على أرضها من مواطنين وأجانب بتطبيق النظم التى تضعها الدولة فى شئون المعاملات حتى ما كان منها متعلقاً بمسائل الأحوال الشخصية . وتوفيقاً بين هذا الاتجاه وحرية العقيدة وحرية الشعائر الدينية أجازت للناس ممارسة أمور معاملاتهم حسبما تقضى به قواعد الديانة تحت رعاية الكنيسة دون أن يكون لذلك أثر إلزامى أمام القضاء فحدث ازدواج فى نظم الأحوال الشخصية : زواج مدنى وزواج دينى ، طلاق مدنى وطلاق دينى ... الخ . وهذا الازدواج مقصور على بعض موضوعات الأحوال الشخصية لأن المسيحية لم تتعرض للشئون الدنيوية فلم تضع لها أحكاماً على خلاف الحال فى الاسلام واليهودية .

وقد أثار هذا الوضع عدة مشاكل فى المجتمعات الغربية المعاصرة بعد ما تكاثر عدد الجاليات الاسلامية فيها وحصول كثير من المسلمين على جنسيات هذه الدول . والإنسان المسلم يخاطب بأحكام الإسلام حيثما وجد ولا يجوز له مخالفتها إلا

لحاجة أو ضرورة . وهو ما نؤمل أن يتناوله الحوار بين الأديان بحيث تعامل الدول المسيحية رعايا الدول الإسلامية من المسلمين بمثل ما يعامل الإسلام وما تسير عليه الدول الإسلامية المسيحيين الوطنيين أو الأجانب . فالقرآن الكريم يأمر بالحكم بين اليهود بما ورد فى التوراة ووصف من لم يحكم بما أنزل الله فى التوراة بالكفر :

« إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون ... ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » (١) .

كما وصفهم بالظلم :

« وكتبنا عليهم فيها (أى التوراة) ... ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » (٢)

ونفس الحكم أورده القرآن الكريم بالنسبة للمسيحيين فسبحانه وتعالى يقول :

« وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » (٣) .

وهكذا أعلى الإسلام حرية العقيدة وحرية الشعائر الدينية فى العبادات والمعاملات على إقليمية القانون .

---

(١) المائدة : ٤٤ .

(٢) المائدة : ٤٥ .

(٣) المائدة : ٤٧ .

والمجتمعات الغربية تتسامح مع المسلمين بدرجات متفاوتة في خصوص شئون شعائر العقيدة والعبادة ولكنها جميعاً لا تسمح بذلك في خصوص المعاملات سواء ما تعلق منها بالأحوال الشخصية أو الأحوال العينية مما خلق توتراً بين المسلمين ونظم الحكم في البلاد الغربية . ونؤمل أن تكون من موضوعات الحوار في إطار الاحترام المتبادل بين الديانات . ومن أهم هذه الموضوعات :

حقوق المرأة وواجباتها :

ومنها حقها في العمل وحقها في التنقل والنظم التي تحكم أهليتها قبل زواجها وبعده وموانع الزواج وآثاره ، ونظام التبني ، ونوع الملبس الذي ترتديه وشكله ، وما يسمى حريتها في جسدها ، وواجب الطاعة نحو زوجها وواجبها نحو أسرتها ..... الخ . ومن حسن الحظ أن أكثر هذه الموضوعات يتلاقى فيها الفكر الإسلامي مع الفكر المسيحي . ولكنهما يختلفان عن النظم الوضعية الغربية وقد ظهر ذلك في المؤتمرات التي انعقدت مؤخراً في القاهرة وبكين وتركيا .

نظم المواريث :

وهي تختلف في الديانات الثلاث كما أنها تختلف عن بعض النظم الوضعية والحال كذلك فيما يتعلق بالنفقة بين الأقارب . ولذلك يضطر المسلمون في المجتمعات الغربية إلى التحايل على هذه النظم عن طريق الوصية أو غيرها .

نظم الزواج والطلاق :

اختلفت النظم القانونية فى هذين الموضوعين منذ القدم سواء فى ذلك النظم السماوية أو النظم الوضعية ، ومن أهم مشاكلها فى الوقت الحاضر الزواج بين ذوى الديانات المختلفة ، تعدد الزوجات وما يقابله فى القوانين الوضعية من تعدد الخطايا ونظم التسرى ..... الخ .

بعض صور الأحوال العينية :

ومنها التعامل بالربا ، بيوع الغرر ، بعض صور المعاملات .

خاتمـــــة :

إن التعايش السلمي بين الشعوب يقتضي بالضرورة التعايش والتسامح بين الديانات السماوية الثلاث . وتقدم البشرية وسعادتها رهين بتحقيق هذا التعايش وهو ما تأمر به كل الديانات السماوية . فالمسيحية تأمر بالمحبة بين كل الناس أصدقاء وأعداء سمعتم أنه قيل « تحب قريبك وتبغض عدوك وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم » إنجيل متى : اصحاح : ٥ .

والإسلام يؤكد على التعايش السلمي بقوله تعالى :

« يا أيهـــا النـاس إنا خلقناكم من ذكـــر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير »(١).

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

---

(١) الحجرات : ١٣ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحوار والتطرف

كلمة الأستاذ الدكتور / **أحمد هيكل**

وزير الثقافة الأسبق

لا شك أن الحوار ضرورة للتواصل البشرى والتعاون الإنسانى ، ولتحقيق السلام والتقدم الحضارى .. فالإنسان مدنى بطبعه ، وهو بحكم كونه مدنياً ، محتاج إلى توثيق روابطه بالآخرين ، وذلك من خلال التفاهم المفضى إلى التعايش السلمى المحقق للتقدم الحضارى .. فلا يمكن أن يعيش الإنسان منعزلاً عن الآخرين ، فضلاً عن أن يعيش معادياً لهم أو متخاصماً معهم .

ولهذا كله دعا الإسلام إلى الحوار ، وحث على مدّ الجسور مع الآخرين ، ورسم لهذا الحوار معالم أساسها الرفق والود وكفالة الحرية التى تسمح بالاختلاف دون عداء ودون كراهية .. وما أروع قول المولى فى الدعوة إلى حوار أهل الكتاب :

« قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » (١) .

---

(١) سورة آل عمران : ٦٥ .

وما أعظم قوله جل شأنه فى الدعوة إلى حوار من يحتاجون إلى الترشيد وتصحيح الفكر أو السلوك حتى من المسلمين :

« ادْعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن » (١) .

ففتح سبل الحوار بين المسلمين وغيرهم مطلوب بل مأمور به .. والدعوة إلى الحق والخير مطلوبة كذلك بل مأمور بها . على أن يكون الحوار مسموحاً فيه بأن يخالفنا من نحاوره ، وإذا حدث هذا ، فلا إكراه له ولا عداء معه . وحسبنا أن نقول له :

« اشهدوا بأنا مسلمون »

أو نقول : **« لكم دينكم ولى دين »** (٢) .

ولا ينبغى أن يكون الحوار مشوباً بأى عنف ولا أى عداء ولا أيّة كراهية ، لأن ذلك مخالف لقول المولى :

« ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن ، إلا الذين ظلموا منهم » (٣) .

وهكذا نرى أن الحوار من المسلم مع غير المسلم مطلوب ومشترط فيه أن يكون بالتى هى أحسن .. كما نرى أن الحوار من المسلم الملتزم الداعية مع غيره من غير الملتزمين الذين توجه إليهم الدعوة ، أمر مطلوب كذلك ، ومشترط فيه أن يكون بالحكمة والموعظة الحسنه . والحكمة تعنى الرفق والتعقل والدقة والمعالجة الصحيحة ، وغير ذلك من الدلالات الكثيرة

---

(١) النحل : ١٢٥ . (٢) الكافرون : ٦ . (٣) العنكبوت : ٤٦ .

التى تدل عليها كلمة « الحكمة » .. والموعظة الحسنة ، هى الموعظة الجميلة الرقيقة الجذابة الحانية التى من شأنها أن يُسْتجاب لها ويُعمل بمقتضاها ، وذلك لأنها « حسنة » وليست قبيحة ولا منفرة ولا متشددة ولا غليظة ..

هذا هو الحوار ، وتلك ضرورته ، وهذه أشراطه بإيجاز .

أما التطرف ، فهو ترك الاعتدال والوسطية ، والأخذ بالغلو الذى يصل إلى التطرف أو الفكر أو التعبد أو السلوك .. ومن التطرف فى الفكر تكفير الآخرين دون سند يسوّغ هذا التكفير ، لمن يكفّرون الآثم أو المذنب مثلا ، مع أن صحيح الرأى أن هذا الآثم مؤمن مذنب وليس كافراً ، مادام يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ومادام يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وبالقضاء خيره وشره حلوه ومره .. ومن التطرف فى التعبد ترك الرخص ، والقسوة على النفس فى عدد الصلوات أو أيام الصوم التطوعى أو مرات الحج .. ومن التطرف فى السلوك تحريم طيبات ما أحل الله ، ورفض الفنون الرفيعة ، والإشاحة عن العلوم النافعة ، والترفع عن التعامل مع المستحدثات الحضارية ، والتشبث بزى معين أو طعام معين بدعوى أن ذلك من السنن وأن مخالفة ذلك من البدع .

على أن من أخطر أنواع التطرف الفكرى ، الحكم بتكفير المجتمع كله بدعوى أنه يزاول أموراً لم يزوالها السلف ، ويحتكم إلى قوانين هى من وضع الإنسان ، حتى ولو كانت الأمور

المسببة للتكفير متصلة باحتياجات الناس وتطور حياتهم دون مخالفة لأصل من أصول الدين أو لأى شئ مما علم من الدين بالضرورة .. وحتى لو كانت القوانين الموضوعة لا تتنافى مع النصوص القرآنية أو الأحاديث النبوية ، وإنما هى مما استدعى وضعه حمايةُ مصالح الناس ورعايةُ ما فيه خيرهم وتنظيم حياتهم ، مما يندرج تحت « المصالح المرسله » التى أساسها قول الرسول الكريم « ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن » وقوله للصحابة فى مسألة تلقيح النخل « أنتم أعلم بشئون دنياكم » .

والتطرف أكبر خطر يهدد الحوار ، أى يقطع التواصل ، ويحول دون التعاون ، وبهذا فهو مدخل إلى الإرهاب أحياناً ، وسبيل إلى عدم التوافق فى كل الآحايين وعدم التوافق قد يكون بين المرء ونفسه ، وقد يتجاوز ذلك فيكون بين المرء ومجتمعه ، وقد تتسع دائرته فيكون بين مجتمع وغيره من مجتمعات .. فالتطرف عادة إنسان متوتر غير راض وغير سعيد .. والمتطرف عادة يرى فى نفسه مع ذلك تميزاً على الآخرين ، ويحس أنهم مقصرون آثمون ، ومن هنا لا يتوافق معهم ولا يطمئن إليهم ، فهو ينفر منهم بل كثيراً ما يعاديهم ويتربص بهم . ولذا فهو يكره مجتمعه وأحياناً تحمله الكراهية على اعتزال هذا المجتمع ، وأحياناً أخرى يعمل على تغييره بالقوة فيتورط فى العنف والإرهاب .. وقد يكون هناك مجتمع متسم بالتطرف ، وهذا المجتمع يتمثل أحياناً فى حزب أو فرقة

أو أصحاب مذهب ، كما يتمثل هذا المجتمع أحياناً فى دولة تأخذ نفسها بفكر متطرف وتبتعد به عن كل سماحة الدين الحق وعن جوهر الوسطية القويمة والاعتدال الرشيد .. ومن أمثلة ذلك الخوارج قديماً وبعض الجمعيات الدينية بل بعض الدول حديثاً .. وليس يخفى إنحراف هؤلاء جميعاً وبعدهم عن الطريق القويم ، طريق الاعتدال والوسطية وسماحة الإسلام ، تلك السماحة التى تدعو إلى الحوار من أجل التعايش السلمى والتعاون الإنسانى ، ومن أجل السلام والتقدم وتحقيق حياة أفضل لبنى الإنسان .

إن التاريخ أكبر شاهد على أن الحوار المعتمد على جوهر الإسلام فى سماحته ، كان أحسن السبل لازدهار الحضارة وتحقيق الخير للناس . كما أن التاريخ أكبر شاهد على أن التطرف البعيد عن جوهر الإسلام واعتداله ، كان أقصر الطرق إلى التخلف وجلب الشر والأذى للناس .. إن الخوارج كانوا متطرفين ، وأفعالهم ونتائج حركتهم تثير الأسى ، فلم تجن الحضارة الإسلامية من ورائهم إلا سفك الدماء وإزهاق الأرواح . وأصحاب حركة الاستشهاد من مستعربى الأندلس كانوا متطرفين ، وأفعالهم ونتائج حركتهم تثير الأسى أيضاً ، ولم يجن منها المسيحيون فى الأندلس إلا سفك الدماء وإزهاق الأرواح .. والحروب الصليبية كان وراءها التطرف من المعتدين على الأراضى المقدسة فى فلسطين وبعض بلاد الشرق .. ومثلها فى العصر الحديث حرب الصرب للبوسنة ، فهى كذلك حرب وراءها التعصب . ولم يجن منها الناس إلا الخراب والدمار

وسفك الدماء وإزهاق الأوراح .. وفى المقابل يؤكد التاريخ أنه حين تحقق الجوار والتواصل والتسامح فى العصر العباسى فى الشرق ، قامت حضارة إنسانية رائعة .. وكذلك حين تحقق الحوار والتواصل والتسامح فى العصر الأموى فى الأندلس ، قامت كذلك حضارة إنسانية رائعة . وهذه الحضارة المشرقية وتلك الحضارة الأندلسية كلتاهما قد عادت بالنفع لا على المسلمين وحدهم ، وإنما على المسلمين وغير المسلمين ، بل كانت من أهم الدعائم التى قامت عليها النهضة الغربية عقب ظلمات العصر الوسيط . على أننا يجب أن نعرف أن وراء التطرف أسباباً كثيرة تحتاج إلى علاج حاسم ، ومن أهم هذه الأسباب : الجهل بجوهر الدين ، والاعتماد أحياناً على نصوص غير صحيحة ، والأخذ أحياناً بنصوص جاءت على سبيل المجاز ، وفهمها المتطرفون على أنها وردت على سبيل الحقيقة .. ومن أهم أسباب التطرف عدم تحديد بعض المصطلحات بالدقة الواجبة . ومن تلك المصطلحات : مصطلح « الجهاد » ومصطلح « البدعة » ومصطلح « الكفر » ومصطلح « تغيير المنكر » ومصطلح « الحكم لله » ومصطلح « تطبيق الشريعة » فكل هذه المصطلحات تحتاج إلى تحرير دقيق وإيضاح حاسم .. كما أن النصوص التى يعتمد عليها المتطرفون فى تكفير الآثم ومقاطعة غير المسلم ووجوب محاربة غير المؤمن ، ونحو ذلك من نصوص ترفض الفنون الرفيعة وتحرم الطيبات من الرزق ومن جماليات الحياة ، أقول إن تلك النصوص محتاجة إلى

تفسير صحيح يُجلِّيها ويوضح حقيقتها ويبين المراد منها ، ويضعها فى مكانها الدقيق من التشريع ، دون عزل لها عن غيرها من النصوص ، ودون إماطة اللثام عن الضعيف منها والمدخول من بينها .

وهكذا نرى أنه لكى يتحقق الحوار المثمر على وجهه الصحيح ، يجب أن يقاوم التطرف الذى هو أكبر معوق له وأشد الأمور خطراً عليه .

وهكذا نرى أيضاً أنه لكى نقيم حواراً مثمراً ، بعد معالجة التطرف الذى يعوقه ، يجب أن نقدم من خلال الحوار المثمر قيم ديننا الحنيف التى قامت عليها دعوته وشُيِّدت عليها حضارته ودولته .. وأهم هذه القيم : الحرية والمساواة والديمقراطية والعدالة ، وتقديس العلم النافع وإجلال الفن الرفيع .

فالإسلام قد حرر الإنسان ذاتاً وفكراً وروحاً .. والإسلام كرم الإنسان بهذه الحرية ، وجعله أفضل خلقه وسخّر كل ما فى الكون من أجل سعادته ..

« ولقد كرمنا بنى آدم »(١) ، « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم » (٢) :

والإسلام دعا إلى المساواة بين البشر ، ورفض أن يَفْضُل أحد أحداً للونه أو جنسه أو عرقه أو طبقته ، وجعل أساس المفاضلة التقوى فَحَسْب ، فبقدر حظ الإنسان من تقوى الله تكون ميزته وتكون درجته ويكون فضله :

---

(١) الإسراء : ٧٠ . (٢) طه : ١١٦ .

« يٰأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم »(١) .

والإسلام دعا إلى الشورى - أو إلى الديمقراطية إذا أردنا لغة العصر - ومَجَّد المسلمين لأن أمرهم شورى بينهم ، بل أمر نبيه صلى الله عليه وسلم - وهو الموحَى إليه الذى لا يخطئ - بأن يشاور أصحابه ولا يستبد برأى . وفى ذلك يقول المولى :

« وشاورهم فى الأمر »(٢) .

والإسلام دعا إلى العدالة المطلقة ، والآيات القرآنية التى تحث على العدالة المطلقة كثيرة ، وكذلك الأحاديث النبوية التى توضح هذه الآيات كثيرة ، وممارسات الصحابة فى هذا الشأن باهرة . وحسبنا أن نتذكر قول عمر بن الخطاب لأبى موسى الأشعرى حين ولّاه قضاء اليمن : « آس بين الناس فى مجلسك ووجهك ، حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك » .

والإسلام حث على التزود بالعلم ، بل بدأ آيات القرآن المطهرات بالأمر بالقراءة ثم أَتْبَعَ هذا الأمر ببيان فضل الله :

« الذى علّم بالقلم ، علّم الإنسان ما لم يعلم »(٣) .

كذلك جعل الإسلام العلماء ورثة الأنبياء ، وجعل علمهم سبباً لأفضليتهم وتميزهم :

«قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون »(٤)

---

(١) الحجرات : ١٣ . (٢) آل عمران : ١٥٩ . (٣) القلم : ٤ ، ٥ . (٤) الزمر : ٩ .

والإسلام قد قدر الفن الرفيع حق قدره ، وحث على الاستجابة لهذا الفن وتوظيفه فى ترقية الحياة وخير المجتمع .. ولنا فى موقف الرسول الكريم من الشعر أكبر دليل على ما نقول . فقد احتضن صلوات الله عليه شعر حسان بن ثابت ، ودعا له بالخير . كما أصغى إلى الخنساء وأجلسها على ردائه واستزادها ، وما يصدق على الشعر الجيد المتسق مع روح الشريعة وفضائلها ، يصدق بالقياس على بقية الفنون الرفيعة ، التى ترقى بوجدان الإنسان وتدفع الحياة إلى ما هو أفضل .

وهكذا علينا أن نقدم - من خلال الحوار - ديننا الحنيف فى جوهره النقى ووجهه المشرق .

كما أن علينا أن نصحح فكر المتطرفين ، حتى لا يحول هذا الفكر دون نجاح الحوار .

ومن هنا نقول : إن واجبنا الذى يتحَتَّم أن نقوم به اليوم قبل الغد ، هو واجبٌ ذو شقين . الشق الأول علاج التطرف بتصحيح فكر المتطرفين والقضاء على هذا الغلوّ المعوق والمقاوم لكل تقدم .. والشق الثانى هو تقديم صورة الإسلام للآخرين على حقيقتها المشرقة وسماتها السمحة .. وبهذا نربح لديننا وأمتنا وعالمنا نتائج باهرة ، تحقق السلام الذى فى ظله يتحقق الأمن وتتحقق التنمية ويتحقق التقدم ، ويعيش الجميع حياة أفضل وأكرم .

« القانون الدولى والشريعة الإسلامية »

للأستاذ الدكتور / مفيد شهاب

رئيس جامعة القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا كانت الجذور القديمة لقواعد القانون الدولى ترجع إلى عصر الرومان ، حيث كان الأجانب يخضعون فى داخل الامبراطورية الرومانية لقانون خاص يسمى بقانون الشعوب (Jus Gentium) ، يختلف عن القانون المدنى (Jus Civile) الذى يخضع له الرومان ، وإذا كانت الشريعة الإسلامية قد تضمنت تنظيماً لكثير من المسائل التى يحكمها القانون الدولى الحديث ، إلا أن الأصول الحديثة لهذا القانون الدولى ترجع إلى منتصف القرن السادس عشر . ففى هذه الفترة ، ظهرت بين دول أوروبا المسيحية الكاثوليكية قواعد هذا القانون ، لتسرى على هذه الدول باعتبارها تشكل وحدها الأسرة الدولية .

وتعد معاهدات وستفاليا فى عام ١٦٤٨ ، من وجهة نظر غالبية الفقهاء ، أساس القانون الدولى الحديث ، باعتبارها قد قررت السيادة والمساواة بين الدول الأوروبية المسيحية الكبرى

والصغرى ، كمبدأ أساسى فى العلاقات الدولية . وقد جاءت المعاهدات فى أعقاب الحرب الثلاثينية بين الدول الكاثوليكية والدولة البروتستانتية ، مستندة إلى قاعدة التوازن الدولى (The balance of power) ، كركيزة لصيانة السلام فى أوروبا .

وإذا كانت هذه المعاهدات قد قامت بتدوين بعض قواعد العلاقات الدولية ، فقد بدأت تنشأ وتتدعم قواعد عرفية أخرى بين الدول الأوروبية ، حتى أصبح للقانون الدولى قواعد ثاتبة ، تنفرد الدول الأوروبية المسيحية بانشائها وتطبيقها على أنفسها .

وقد ظل القانون الدولى ينمو ويتطور خلال القرون الثلاثة الماضية ، حيث تم ابرام العديد من الاتفاقيات الدولية فى مختلف المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية وغيرها ، مثل اتفاقيات البحار لعامى ١٩٥٨ ، ١٩٦٠ ، واتفاقية العلاقات الدبلوماسية والمبعوثين الدبلوماسيين لعام ١٩٦١ ، وقانون المعاهدات لعامى ١٩٦٨ ، ١٩٦٩ .

هذا فى نطاق السلم . أما فى نطاق الحرب . فقد انعقدت معاهدات لاهاى سنة ١٩٠٧ ، الخاصة بكيفية استخدام أسلحة القتال ، والأحكام التنظيمية للحرب فى البر والبحر والجو . وانعقدت اتفاقيات جنيف الأربع لسنة ١٩٤٩ بشأن تحسين حال الجرحى والمرضى من أفراد القوات المسلحة فى ميدان القتال ، وفى مجال معاملة الأسرى وحماية المدنيين ، والبروتوكولين الاضافيين الصادرين سنة ١٩٧٧ ، وغير ذلك .

ومما يلاحظ على نشأة القانون الدولى أنها تمت فى أوروبا الكاثوليكية ، ويكاد الباحثون يجمعون على أن القانون الدولى نتاج أوروبى مسيحى خالص ، كما أنه نشأ كحركة فكرية ، لا كتقنين مدون ، وأنه لم يدخل فى طور التدوين الحقيقى إلا حديثا ، وخاصة في أعقاب نشأة الأمم المتحدة عام ١٩٤٥ .

كذلك فإن القانون الدولى قد انطبع بظروف الدول الأوروبية التى نشأ وتطور فيها . فظهر - فى البداية - أن أحكامه مسودة لا ساندة ، بل إنه يسوغ تصرفات الدول ، ولا يحكم عليها .

أمر آخر ، هو أن نشأة القانون الدولى فى أوروبا بالذات قد طبعه بطابع المحدودية ، التى تقتصر على الدول الأوروبية وحدها . لذلك انطبع القانون الدولى - منذ ظهوره - بالطابع الأقليمى والطائفى ، ولم يهدف أصلاً أن يكون قانوناً عالمياً تنتفع بأحكامه كل دول العالم . وعلى اختلاف أديانها . أو تباين شعوبها ، أو تباعد أقاليمها .

وقد ظل الحال على ذلك مدة طويلة ، وفى بداية النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، حدث تطور على درجة كبيرة من الأهمية . فقد قررت الدول الأوروبية المسيحية العظمى حينئذ (وهى : فرنسا والنمسا وبريطانيا وبروسيا وروسيا) أن تقبل تركيا الإسلامية بمقتضى المادة السابعة من معاهدة باريس سنة ١٨٥٦ ، ثم قبلت بعد ذلك اليابان ، وهى أيضاً غير مسيحية . وبدخول تركيا واليابان فى « الأسرة الدولية » تحرر نطاق القانون الدولى من رابطتى الدين والإقليم الأوروبى .

والواقع أن القانون الدولى لم يصبح عالمياً بحق إلا بعد إنشاء الأمم المتحدة ، وبصفة خاصة . بعد حسم مشكلة العضوية بها فى سنة ١٩٥٦ ، وانتهاء عصر الاستعمار الأجنبى ، حتى بلغ عدد الأعضاء فيها الآن (١٨٤) دولة .

أما عمليات تدوين أحكام القانون الدولى ، فقد بدأت على استحياء إبتداء من أواخر القرن الماضى ، إلا أنها لم تدخل حيز الانتشار إلا إبتداء من سنة ١٩٥٨ ، عندما دونت الأحكام القانونية الخاصة بالنظم القانونية للبحار ، ثم تتابع بعد ذلك تدوين سائر أحكام القانون الدولى ، فعقدت معاهدة فيينا سنة ١٩٦١ لتدوين أحكام التنظيم الدبلوماسى ، ثم عقد مؤتمر فيينا سنتى ١٩٦٨ ، ١٩٦٩ لتدوين أحكام المعاهدات الدولية .

ونخلص من هذا العرض التاريخى السريع إلى أن القانون الدوى فرع حديث النشأة ، وأنه لم يأخذ طابع العالمية إلا إبتداء من القرن العشرين ، كما أنه مازال حتى اليوم ينمو ويتطور تبعاً للظروف والمستجدات التى تطرأ على العلاقات بين الدول ، وأخيراً بإعتباره قانوناً وضعياً ، ولا يهتم كثيراً بالتكوين الأخلاقى للدول - وبالتالى للشعوب - التى تطبق أو ينطبق عليها أحكام هذا القانون .

فإذا استعدنا ظهور الإسلام فى القرن السابع الميلادى ، أى قبل نشأة فكرة القانون الدولى بأحد عشر قرنا ، نجده قد جاء للإنسانية كلها بآخر رسالة سماوية ، وبالتالى أكمل تشريع إلهى . وما أسرع أن تقبلته العقول ، واطمأنت إليه النفوس ،

ووجدت فيه الشعوب نظاماً يحقق لها العدالة والمساواة ، ويمنحها الأمن والاستقرار .

عندما ظهر الإسلام ، كان العالم المعروف حينئذ يكاد يكون محصوراً فى امبراطوريتين كبيرتين ،لكنهما كانتا متهالكتين ، هما امبراطورية الفرس ، وامبراطورية الروم ، بالإضافة إلى شبه الجزيرة العربية التى كان لها شرف استقبال الدين الجديد ، الذى أخرجها من جاهلية الشرك إلى نور التوحيد ، وألف - لأول مرة - بين قبائلها المتناثرة والمتناحرة ، فجعل منها دولة ذات كيان سياسى واضح ، وما لبثت هذه الدولة ، التى قامت على مبادئ الإسلام وتعاليمه ، أن امتدت ، واتسع نطاقها ، حتى ورثت معظم المناطق التى كانت خاضعة لسلطان الامبراطوريتين المتهالكتين .

إن الإسلام - كما نعلم - دين صالح لكل زمان ومكان . وهو موجه للبشرية كلها ، لذلك فإن النظام السياسى الذى أقامه المسلمون فى المدينة تحت قيادة الرسول صلى الله عليه وسلم ، اتسم منذ اللحظات الأولى بطابع العالمية والدبلوماسية معاً . وقد تجلى ذلك واضحاً فى الرسائل التى بعث بها الرسول صلى الله عليه وسلم ، إلى رؤساء العالم حينئذ : كسرى الفرس وقيصر الروم ، ونجاشى الحبشة ، ومقوقس مصر وغيرهم . ومن المعروف أن هذه الرسائل قد حملها مبعوثون دبلوماسيون على مستوى عال من الكفاءة . وأن بعض هذه الرسائل كان لها أثرها الإيجابى ، كما هو الحال فى مصر والحبشة ، بينما قوبل

بعضها الآخر بصورة غير متحضرة بالمرة ، كما فعل كسرى حين مزق الرسالة .

كذلك كان للمعاهدات التى وقعها الرسول صلى الله عليه وسلم ، مع القبائل العربية ، أو اليهود ، نماذج عالية من السياسة الحكيمة التى تحفظ لجماعة المسلمين حقوقها ، وترد عنهم كيد المعتدين . وفى هذا المجال ينبغى أن نتأمل معاملة الرسول صلى الله عليه وسلم ، لمبعوثى أعدائه ، وحاملى رسائلهم ، وممثليهم السياسيين ، وهى معاملة يحق لنا أن نقول فيها إنها سديدة ومستقيمة ، فالإسلام فوق ما يكفله لهم من صيانة وأمن على الأرواح ، يمنحهم نوعاً من الحصانة الاجتماعية التى تضمن لهم حرية العودة إلى أوطانهم متى شاءوا ، ولا يدع سبيلاً إلى احتجازهم فى بلاد المسلمين بحجة أنهم من الأعداء .

يلى ذلك طريقته عليه السلام ، فى الاستماع لهؤلاء المتفاوضين ، وحسن استعداده للتفاهم أو التعاقد معهم . والقرآن الكريم يحض الرسول صلى الله عليه وسلم ، على قبول مبدأ الصلح ، متى وجد من العدو ميلاً إليه :

« وإن جنحوا للسلم فاجنح لهم » (١) .

أما شروط الصلح وطرائقه ، فقد رأينا فى هدنة الحديبية ، كيف أن روح المسالمة ، التى كانت تعمر قلب رسول الإسلام ، قد جعلته يضحى بكثير من التفاصيل المتعلقة بألقابه الأدبية ،

---

(١) الأنفال : ٦١ .

وبالسمعة الحربية لجيشه ، وببعض الحقوق الفردية لأتباعه ، على أن ذلك لا يعنى قبول كل اقتراح من جانب العدو مهما كان شاذاً ، أو ضاراً بحقوق الأمة والأجيال المقبلة . فقد رأينا هذا الرسول الرحيم نفسه حين عرض عليه مسيلمة الكذاب تقسيم الأرض بينه وبينه ، يرفض ذلك العرض رفضاً صارماً ، ويجيبه بتلك الجملة الحكيمة التى يقتبسها من القرآن الكريم :

« إن الأرض لله ، يورثها من يشاء من عباده »(١) .

ولعل أبسط العقود السياسية هو التصريح الذى يصدر من جانب واحد ، ولا يلزم إلا الطرف الذى أصدره ، كإعلان دولة ما أنها تلتزم الأمن والحماية لدولة أخرى . ونحن نجد من هذا النوع مثالاً واضحاً فى العهد الذى أعطاه الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأهل سوريا ومن معهم فى أثناء غزوة تبوك . وضمن لهم فيه حرية انتقالهم ، وأمن قوافلهم البرية والبحرية ، بشرط ألا يثيروا شغباً على المسلمين .

لكن المعاهدة بالمعنى الصحيح تتطلب اتفاقاً وتبادلاً للمنافع يقبله طرفا العقد جميعا . وأقل ما يتحقق فى هذا النوع من العهود هو التعاقد الذى لا يتضمن إلا التزامات سلبية تنحصر فى امتناع كلا الطرفين عن كل فعل ضار بالآخر . وقد نقل لنا المؤرخون أمثلة لمواثيق من هذا النوع عقدها الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتزم فيها الطرفان - إما لمدة غير محصورة ،

---

(١) الأعراف : ١٢٨ .

وإما إلى أجل معلوم - ألا يهاجم أحدهما الآخر ، ولا يحالف عدوا له ، ولا يساعد معتديا عليه . ومن ذلك على سبيل المثال : ميثاق الهدنة التى عقدها الرسول صلى الله عليه وسلم ، مع قريش ، فى السنة السادسة من الهجرة ، لمدة عشرة أعوام .

على أن الحقوق والواجبات المتبادلة انما تبرز فى أكمل مظاهرها فى عهود الحلف . ومن أمثلة ذلك تلك المحالفتان اللتان تعهد بهما صلح الحديبية ، حيث سمح لكلا الفريقين أن يختار حليفا له من بين القبائل العربية ، فاختارت قبيلة (خزاعة) أن تحالف محمداً ، واختارت قبيلة (بنى بكر) أن تحالف قريشاً .

لقد كانت من نتائج تطبيق هاتين المحالفتين أن نهض المسلمون فى السنة الثامنة لنجدة خزاعة ، حين نقضت قريش عهدها معها . وينبغى أن يلاحظ أن هذا النقض لم يكن بقتال مباشر موجه علانية لخزاعة ، وإنما كان معاونة سرية بالمال والسلاح لبنى بكر عليها . ومن هنا نعرف وجهة نظر الإسلام فى هذه النقطة القانونية .

وهناك مثال طريف لنوع من المواثيق لا نجده إلا فى العصر الحديث ، وهو ذلك العهد الذى أعطاه الرسول صلى الله عليه وسلم ، لنصارى نجران باليمن ، يلتزم لهم فيه بحرية عقيدتهم ما داموا مسالمين ، ويلتزمون له بمساعدات مالية . وهو إن كان عهداً محلياً أكثر منه عهداً دولياً ، إلا أن فيه شرطاً يذكرنا باتفاق الإعارة أو التأجير الذى عقدته الولايات المتحدة الأمريكية مع بريطانيا ، لتمويل الجيوش الانجليزية فى الحرب العالمية الثانية .

ونخلص من إيراد هذه الأمثلة والنماذج إلى تقرير حقيقة ناصعة ، وهى أن كثيراً من مبادئ القانون الدولى وصوره التى لم تتوصل إليها الإنسانية إلا فى النصف الثانى من القرن العشرين ، نجدها قد وردت فى صورة مبادئ وتعاليم فى القرآن الكريم ، وفى صورة تطبيقات فى السنة النبوية الشريفة وقد أتى فقهاء المسلمين بعد ذلك لكى يتناولوا هذه المبادئ والتعاليم والتطبيقات بالمزيد من الشرح والتفسير . ومما يدعو إلى الإعجاب بحق أن أول دراسة لما يسمى الآن بالقانون الدولى قد كتبها الإمام عبد الله محمد بن الحسن الشيبانى بعنوان (السير الكبير) فى القرن التاسع الميلادى . وهو كتاب يكاد يكون كاملا من حيث موضوعه ، ومن حيث الأحكام الخاصة بتنظيم العلاقات الدولية فى السلم والحرب . ولعلنا لا نجد ما يقارن به فى الفكر الأوروبى إلا كتاب « جرسيوس » (الفقيه الهولندى - أب القانون الدولى) بعنوان « فى قانون الحرب والسلم » الذى وضعه فى القرن السابع عشر ، أى بعد ظهور كتاب الشيبانى بثمانية قرون .

إن فكرة سبق الشريعة الإسلامية للقانون الدولى تفتح مجالاً واسعاً للدراسات المقارنة بينهما ، لكننا ينبغى عند إجراء مثل هذه الدراسات أن نأخذ فى الاعتبار أن مهمة الشريعة الإسلامية هى فى الدرجة الأولى مهمة حضارية ، آمرة وشاملة ، فى حين أن مهمة القانون الدولى مهمة تنظيمية ، قائمة على الاتفاق ، ولا يتعدى أثرها نطاق المتفقين . فالشريعة الإسلامية تتضمن

أحكاماً مدونة مصدرها القرآن الكريم ، وعادات أو أحكام عرفية ثابت مصدرها السنة ، كما تتضمن المصادر التى تكفل لها النمو والتطور الدائمين كى تتلاءم مع عنصرى الزمان والمكان وهى الإجماع والاجتهاد . وهى تهدف - كما نعلم - إلى إيجاد تنظيم يشمل المعمورة وشعوبها ، على أساس أخلاقى يتميز بالسمو والامتياز مما لم يتسن لأحكام القانون الدولى بلوغه حتى الآن . ومن الجدير بالذكر أن الأحكام الإسلامية لم تكن غايتها على الإطلاق أن تنظم مجتمعا مغلقا ، بل إن أحكام الإسلام تهدف أساساً إلى تنظيم العلاقات فى مجتمع مفتوح الأبواب ، يشمل كل شعوب الأرض دون تمييز يقوم على أساس الدين أو اللغة أو اللون . يضاف إلى ذلك أنها تهدف إلى إيجاد تنظيم للجماعة الإنسانية ، كلها على أساس العدل والشورى والمساواة ، فى ظل حياة كريمة يسودها الأمن والاستقرار .

لقد حررت الشريعة الإسلامية الإنسان - الفرد - فى علاقته بالله تعالى ، من أى سلطة كهنوتية يمكنها أن تفسد صفاء هذه العلاقة ، كما حررته فى نطاق تعامله مع الدولة من أى ظلم أو استبداد ، وكفلت له مجموعة الحقوق الأساسية بالحفاظ على (النفس والعقل والدين والعرض والمال) . أما على مستوى الشعوب ، فقد حررتها من علاقات السيطرة وفرض النفوذ ، وتكبيل الحريات ، وفتحت لها طريق المفاوضات والمعاهدات السلمية ، من أجل حمايتها من ويلات الحرب ، وأخطار العدوان .

وإذا كنا اليوم فى مجال القانون الدولى نسعى إلى أن تسود بين الدول علاقات الوئام والسلام وتبادل المنافع ، انطلاقاً من المعاهدات والاتفاقيات الدولية ، فإننا مازلنا بحاجة شديدة إلى ضمان تطبيق هذه المعاهدات بنصها وروحها ، وكذلك ضمان استمرارها وعدم التحايل عليها ، نتيجة رغبة خاصة أو نزوة طارئة من إحدى الدول .

وإذا كان التنظيم الدولى للعلاقات الدولية قد توافر له سند قوى تمثل فى هيئة الأمم المتحدة ، وفروعها الرئيسية المتمثلة فى الجمعية العامة ، ومجلس الأمن ، والمجلس الاقتصادى والاجتماعى ، ومجلس الوصاية ، ومحكمة العدل الدولية ، والأمانة العامة - فإن هذه الفروع لم تنجح حتى الآن فى تحقيق المبدأ الذى أعلنته فى ميثاقها ، وهو « مبدأ المساواة فى السيادة بين جميع الأعضاء . ويكفى أن أشير هنا إلى أن نظام التصويت فى مجلس الأمن (المادة ٢٧) يمنح كل دولة من الدول العظمى (جمهورية الصين ، وفرنسا ، المملكة المتحدة ، الولايات المتحدة الأمريكية) حق تعطيل أى قرار يتفق عليه سائر أعضاء مجلس الأمن فى المسائل الموضوعية بمجرد التصويت بالاعتراض عليه . وحق الاعتراض هذا يشمل أيضاً موضوع أى تعديل على أحكام الميثاق فى المستقبل ، كما يشمل دخول مثل هذا التعديل فى دور التنفيذ بواسطة إجراء التصديق .

ويكفى هذا المثال للدلالة على أن المنظمة الدولية المنوط بها حفظ السلام والأمن الدولى ، وإنماء العلاقات الودية بين الأمم ،

على أساس احترام المبدأ الذى يقضى للشعوب بحقوق متساوية - أقول إن هذه المنظمة الدولية لا تحقق فى آليات العمل داخلها أهم المبادئ التى نص عليها ميثاقها .

مثل هذه السلبيات لا تعنى التهوين من شأن منظمة هيئة الأمم المتحدة ، ولا من أهمية فروعها ، وانما تعنى بالدرجة الأولى ضرورة إعادة النظر فى قوانينها ، وطريقة صياغتها ، ومتابعة تنفيذها ، على أساس من احترام حق شعوب العالم كلها ، وتقدير رغباتها فى العدالة والسلام .

لقد كانت مصر من أهم الدول المساهمة فى تأسيس هيئة الأمم المتحدة . وهى اليوم باعتبارها قوة عربية وافريقية ، ولها مكانتها المتميزة فى العالم الإسلامى كله ، مؤهلة تماماً للإسهام من جديد فى مراجعة أحوال هذه المنظمة الدولية الكبرى . وذلك بفضل ما يتوافر لديها من كفاءات متخصصة فى القانون الدولى والشئون الدولية ، وكذلك بفضل ما يزودها به الإسلام الحنيف من مبادئ وتعاليم ، من حقها أن تسود العلاقات الدولية . وأنا على ثقة من أن الإسلام فى صفاته وعالميته يمكنه أن يقدم الكثير فى هذا المجال ، وخاصة فيما يتعلق بإضفاء طابع إنسانى وأخلاقى على تلك العلاقات ، وهذا ما يجعلها تنتقل من علاقات مؤقتة ومرتبطة بمصالح مادية فقط ، إلى علاقات أكثر استمراراً وإنسانية ، تتفق مع تطلعات الشعوب فى التعارف ، ورغبتها فى التلاقى وتبادل المنافع والثقافات .

وفى تصورى أن العمل فى هذا الاتجاه أصبح ضرورة تمليها علينا ظروفنا من ناحية ، والمشكلات والأزمات الدولية التى يعانى منها العالم من ناحية أخرى ، ويجدر فى هذا الصدد أن أقرر أن جوهر الإسلام الصحيح يحتاج منا إلى بذل جهود علمية وإعلامية صادقة لجلاء مفهوم الإسلام الصحيح المتكامل ، والكشف عما يحتويه من مبادئ عالمية يحتاج إليها الإنسان فى كل زمان ومكان . ولا شك أن هناك الكثير من السحب التى مازالت تحجب الرؤية ، من أهمها الفهم الناقص أو التصور الخاطئ ، أو غلبة العادات المحلية واعتبارها أحياناً من جوهر الإسلام .

وحسبى فى هذا الصدد أن أشير لمبدأ الجهاد الذى صوره بعض المسلمين على أنه جوهر الدين الإسلامى ، وأساء الغرب فهمه حتى جعل الإسلام عبارة عن عقيدة حربية ، يعتنقها المتعصبون ، ولا يوجد لها هدف سوى الحرب والتوسع ، واجبار الآخرين على اعتناق دينهم .

وما أبعد ذلك كله عن الحقيقة . فالقرآن الكريم يقرر فى وضوح أنه « **لا إكــراه فـى الديـن** » (١) . وأن الحرب المشروعة للمسلمين هى الحرب الدفاعية ، التى ينضوى تحتها نوعان ، أشار القرآن أيضاً إلى كل منهما :

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٦ .

الأول : هو الدفاع عن النفس ، وفيه يقول الله تعالى :

« أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق ، إلا أن يقولوا ربنا الله »(١) .

والثاني : هو الاغاثة الواجبة لشعب مسلم أو حليف عاجز عن الدفاع عن نفسه ، وفيه يقول القرآن الكريم :

« وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون : ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها »(٢) .

من هنا نرى أن الحرب فى نظر الإسلام شر لا يلجأ إليه إلا المضطر . بل إن التطبيق النبوى للمبدأ القرآنى يطلعنا على أن المفاوضة التى تؤدى إلى صلح مجحف بشئ من حقوق المسلمين ، ولكنه فى الوقت نفسه يحقن الدماء ، خير من انتصار باهر تزهق فيه الأرواح . (وصلح الحديبية يظل نموذجاً يحتذى به فى هذا المجال) .

أجل ، ما أحوج القانون الدولى المعاصر ، والعلاقات الدولية نفسها إلى أن تتشبع بروح الإسلام ، وأن تستهدى بمبادئه السامية ، ومثله العليا . وعندما نقول ذلك فإننا لا نعنى رسم صورة خيالية لنظام يصعب أو يستحيل أن يوجد فى الواقع (كما فعل أفلاطون فى جمهوريته) ، وإنما نقصد إلى مبادئ

---

(١) الحج : ٣٩ ، ٤٠ .

(٢) النساء : ٧٥ .

يمكن - وقد أمكن بالفعل - ترجمتها إلى الواقع التاريخى .
ويكفى أن أشير فى هذا المقام إلى النظام السياسى الذى أقامه المسلمون ، والذى استطاع أن يضم العديد من الأمم والشعوب المختلفة فى الجنس واللغة ، ناشراً فيها حضارته ، باسطاً عليها جناحه . وصحيح أن هذا النظام قد نشأ وتطور فى ظروف معينة ، وارتبط ازدهاره وإنهياره أيضاً بعوامل محددة ، ولكن الذى يبقى هو أن عوامل نجاحه وازدهاره تظل مقاييس هادية لنا حتى الوقت الحاضر . ويحضرنى هنا ما كان يقوم به العلماء والتُجار من رحلات حرة ، وبدون قيود أو عوائق ، بين سائر ارجاء الدولة الإسلامية ، من الأندلس والمغرب حتى العراق وايران وما وراءهما . ومن الواضح أن فتح الحدود الأقليمية لأمثال هذه الرحلات كان ومازال سبقا تميز به النظام السياسى لدى المسلمين . يضاف إلى ذلك ما تميزت به علاقات الدولة الإسلامية مع الدول الأخرى من احترام للعهود والمواثيق . ويحدثنا التاريخ أنه من النادر أن كان المسلمون ينقضون العهد ، أو يخونون الميثاق ، بل على العكس ، كان هذا النقض يأتى من جانب الأطراف الأخرى ، مما كان يؤدى إلى توتر العلاقات ، وفتح باب الصراع .

وانتهى من هذا البحث الموجز إلى أن الإسلام لديه الكثير جداً لكى يقدمه للعالم فى ظروقه الحالية ، بل إن لديه حلولاً جذرية للكثير من المشكلات الراهنة ، شريطة أن ينهض أبناؤه بجهد استخراجها واستنباطها من قواعدها الكلية ، وأن يبذلوا

الجهد اللازم من أجل عرضها - بصورة مقنعة وحضارية - فى المحافل الدولية ، دون أن يفقدوا أبداً النظرة للإسلام ، باعتباره دينا نزل لهداية الإنسانية كلها ، إلى طريق الخير والطمأنينة والسلام .

المراجع الرئيسية :

أ . د حامد سلطان — أحكام القانون الدولي فى الشريعة الإسلامية طبعة مصورة ١٩٨٦ ، دار النهضة العربية .

أ . د عبد الفتاح حسن — ميثاق الأمم المتحدة فى الإسلام محاضرة ألقيت بقاعة المحاضرات بالأزهر ٩ يونية ١٩٥٩ .

أ . د محمد عبد الله دراز — دراسات إسلامية فى العلاقات الاجتماعية والدولية - دار المعرفة الجامعية . الإسكندرية ١٩٨٩ .

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان القاهـرة

من أرض مصر الطيبة التى عرفت التدين منذ فجر التاريخ ، ومن القاهرة قلعة الإسلام والعروبة التى استشعرت مخاطر إبعاد الدين عن ترشيد معطيات الحياة المعاصرة مع ما له من أهمية قصوى لتصحيح المسار ، وهداية الإنسان كانت المبادرة المصرية للدعوة إلى الحوار بين الحضارات والتى انطلقت من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لعقد هذا المؤتمر فى الفترة من ٨ - ١١ ربيع الأول ١٤١٧هـ الموافق ٢٤ - ٢٧ يولية ١٩٩٦م .

وشارك فيه ممثلو أكثر من سبعين دولة من جميع أنحاء العالم الذين أمضوا أيام المؤتمر فى حوارات ومُداخلات كان حصادها التأكيد على قيمة الحوار وأهميته كعامل فعَّال فى إقرار السلام وتخفيف حدة التوتر والاستقرار فى العالم .

لقد دعت مصر إلى هذا المؤتمر العالمى بقلوب مفعمة بالصفاء وعميق الود ، وبعقول أكثر انفتاحاً وأقوى عزماً على تحقيق المزيد من التفاهم والتعاون بين أتباع رسالات السماء جميعاً لحماية الإنسان فى عصرنا من نفسه ومن ضعفه ومن

طغيان نزواته وشهواته حتى يكرس كل طاقاته وإمكاناته فى التعمير والبناء وتوسيع فرص الأمن والسعادة له وللأجيال القادمة فى ظل تعاليم الأديان السماوية ووصاياها .

إن عالمنا فى القرن العشرين - ومنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية قد عانى - وما يزال يعانى - الكثير من المحن والفتن والحروب الصغيرة والصراعات على الحدود أو على الموارد أو الرغبة فى التسلط مما كلفه أفدح الأثمان من أرواح أبنائه ومن طاقات شعوبه . وقد ساعد ذلك على ترسيخ أسباب التخلف من الفقر والجهل والمرض فى كثير من بلاد العالم الثالث وانتشار ظاهرة التطرف والعنف والإرهاب فى العديد من مناطق العالـم .

وإذا كان هذا هو حال عالمنا المعاصر وكانت هذه صورة واقعة ، فلا مخرج منها إلا باستلهام رسالات السماء لما للأديان من أثر عظيم فى ضبط التوازن النفسى والفكرى والسلوكى للإنسان .

من هنا كان من الضرورى بعث وتنشيط أسباب التعاون بين أتباع الأديان جميعاً بالدعوة إلى الحوار البناء بين أتباعها ليحددوا معاً معالم الطريق لحماية الإنسان من الأخطار التى تهدد مستقبل الإنسانية كلها .

ولقد نشأت فكرة هذا المؤتمر انطلاقاً من عدة حقائق أساسية :

الحقيقة الأولى :

تتمثل فى أننا نعيش الآن فى عصر انهارت فيه الحواجز الزمانية والمكانية بين الأمم والشعوب بدرجة لم يسبق لها مثيل

بفضل ثورة الاتصالات والمواصلات ، فلم تعد الشعوب تعيش فى جزر منعزلة عن بعضها ، بل أصبح هناك تداخل حضارى وتشابك ثقافى بشكل لم تعرفه البشرية من قبل .

أما الحقيقة الثانية :

فإنها تتمثل فى أن الإسلام منذ ظهوره قد تبنى الدعوة إلى الحوار بين الأديان والتعايش السلمى بين البشر . فقد تحاور النبى - صلى الله عليه وسلم - مع أهل الأديان الأخرى ، ونادت تعاليم الإسلام بالتعارف والتآلف والتعاون المشترك بين الناس أجمعين .

أما الحقيقة الثالثة :

فهى أن مصر كانت منذ فجر التاريخ مهد الأديان والحضارات وهى فيما بعد بلد الأزهر الشريف مركز الإشعاع الحضارى للعلوم الإسلامية ، والذى تحمل منذ أكثر من ألف عام الدعوة إلى قيم الإسلام وتعاليمه السمحة فى المحبة والإخاء والتسامح والسلام والاعتدال والوسطية .

وانطلاقاً من هذه الحقائق كان اختيارنا لموضوع مؤتمر هذا العام هو (الإسلام ومستقبل الحوار الحضارى) فالإسلام من حيث هو دين قد اشتملت دعوته على جوهر القيم الإنسانية النبيلة ، وهو فى الوقت نفسه دين حضارة وعلم وتقدم .

وقد توزعت محاور المؤتمر لتغطى هذا الموضوع الهام . فكان لابد فى البداية من طرح التساؤل حول ما يجرى الآن فى عالمنا : أهو حوار بين الحضارات أم صراع بينها .

وهنا كان من الضرورى أن يتضح موقف الإسلام من هذه القضية ، وهو موقف يجعل الصراع استثناء من القاعدة . فالقاعدة التى تحكم العلاقات بين الشعوب من وجهة النظر الإسلامية هى قاعدة التعارف والتآلف والتعاون لا قاعدة الصراع والمشاحنات .

وعندما يكون الحديث عن الحوار بين الحضارات فإن الحوار بين الأديان يعد محوراً رئيسياً لا يمكن تجاهله . فالدين يشكل العنصر الأساسى فى كل حضارة . ومن هنا كان لابد أن يكون هذا المحور هو المحور الرئيسى فى الموضوع كله من حيث الأهمية . وذلك لما للدين من تأثير عميق فى النفس البشرية .

والأديان فى جوهرها وفى ختامها الإسلام ، تدعو جميعاً إلى المحبة والإخاء والسلام بين جميع البشر ، ومادام السلام هدف كل الأديان وكان الحوار بين الأديان ضرورة لابد منها لبلوغ هذا السلام فقد كان الأمر فى حاجة إلى التمييز الدقيق الواضح بين رسالة الأديان وموجات التطرف التى تجتاح الكثير من بلاد العالم .

فالتطرف فى الفكر أو فى فهم الدين وما يتبع ذلك من تعصب وانغلاق وإرهاب أمور لا صلة لها بالدين حتى وإن وصف مروجوها أنفسهم بصفات دينية ورفعوا لخدمة أهدافهم شعارات براقة خادعة . ومن هنا كان موضوع المحور الثالث حول الحوار والتطرف . فالحوار أسلوب حضارى ، والتطرف أسلوب معاد للحضارة والتقدم .

ونتيجة طبيعية لذلك يأتى التعايش بين البشر كمحور أخير لتوضيح أن هذا التعايش هو الضرورة الحتمية التى لا مفر منها إذا أريد لهذا العالم أن يستمر ، وإذا أريد له المزيد من التحضر .

ومن خلال هذه المحاور وما دار حولها من بحوث ومناقشات يوجه المؤتمر رسالة إلى العالم أجمع قوامها التأكيد على الحوار بوصفه اللغة الحضارية الوحيدة التى تؤدى إلى ما ينشده العالم من تقدم وازدهار ، والتأكيد على أن التطرف والعنف والإرهاب ظواهر شاذة لا صلة لها بالأديان وينبغى أن تتكاتف جميع الجهود لمواجهتها والوقوف فى وجه انتشارها لأن الأديان جميعاً تدعو إلى التعايش الإيجابى المشترك بين البشر جميعاً .

وهذه كلها أمور من شأنها أن تشد من أزر محبى السلام فى العالم لتوحيد الجهود وتنسيق المواقف ووضع الخطط المشتركة من أجل إنقاذ عالمنا الذى نعيش فيه مما يتهدده من أخطار ، وما يؤدى إليه ذلك من انتكاسة حضارية .

إن الآية القرآنية التى كانت شعار هذا المؤتمر والتى تقول :

« يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا »(١) .

إن هذه الآية تلفت نظرنا إلى أن الناس جميعاً ينحدرون من أصل واحد ، وهذه حقيقة ينبغى أن تستقر فى الأذهان . فليست

---

(١) الحجرات : ١٣ .

هناك شعوب أسمى مرتبة وأرفع مكانة من شعوب أخرى ، فكلها مخلوقة لله الواحد الذى وهبها العقل ومنحها الكرامة وفضلها على بقية الخلق .

ومما لا شك فيه أن عالمنا الذى نعيش فيه فى أشد الحاجة إلى الوعى بهذه المعانى وترجمتها إلى أرض الواقع حتى نحمى عالمنا من الانهيار .

وإن من الواضح لكل إنسان عاقل ومسئول أن الحروب والعدوان والرغبة فى التوسع على حساب الآخرين ، وكذلك السلبية وعدم الاكتراث لما يحدث فى العالم ، أمور من شأنها أن تزيد من تدمير عالمنا . ونحن جميعاً مطالبون بوضع حد لهذه العملية التدميرية لهذا العالم .

وإن العلم الحديث والتكنولوجيا إذا كانا يهدفان إلى معرفة الموضوعات المادية وتحليلها والتحكم فيها ، فإن العقل الإنسانى يريد أن يرشد الإنسان إلى عالم الحقيقة التى يحتاج فى معرفتها إلى الدين سعياً وراء إقرار مبدأ العدالة وبلوغ السلام . فالسلام لا يمكن أن يقوم إلا على أساس من العدل .

وكما أن الأرض فى حاجة إلى الماء لكى تنبت الزرع وتؤتى ثمارها فإن الإنسان كى يستطيع أن يعيش ويبدع وينتج فى حاجة كبرى إلى السلام والعدل .

إن المؤتمر يوجه نداء إلى كل العقلاء فى العالم للوقوف صفاً واحداً من أجل السلام . وإذا أردنا أن نقيم السلام فى العالم فلا يجوز لنا أن نُعيد الحياة من جديد إلى عداوات الماضى البعيد أو

القريب وما سببته من عقد مختلفة وعواقب وخيمة . ومن ثم نناشد العالم أن يتجه إلى بناء المستقبل بفكر إيجابى من أجل تحقيق السلام ، ودعم التنمية ، والأخذ بيد البشرية إلى مستقبل جديد من الإخاء والوئام .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

توصيات المؤتمر

مقدمــــة

يمر العالم الآن بتطورات هامة وحاسمة فى تاريخ البشرية بعد الإنجازات العالمية الكبيرة التى تحققت نتيجة لثورتى المعلومات والاتصالات لدرجة أن أصبح معها العالم قرية صغيرة تتلاقى فيها الحضارات المتباينة ، والثقافات المختلفة ، وتتفاعل فيما بينها أحياناً ، وتتصارع أحياناً أخرى ، وصَاحَبَ هذه التطورت ظهور تكتلات اقتصادية وسياسية بين بعض الشعوب المتجاورة ذات الأصول الحضارية المتقاربة ، وفى ذات الوقت اندلعت صراعات حضارية وعرقية ودينية انتهت بتفشٍّى ظاهرة العنف والإرهاب فى سائر أنحاء العالم مما يهدد مسيرة التنمية الاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية لسائر البلاد ، وزاد من حِدَّتها محاولة هيمنة بعض القوى العظمى على مقدرات العالم . وانحيازها لأنموذج حضارى معين ، ومحاولة فرضه على سائر بلدان العالم فى الوقت الذى اتسعت فيه الفجوة بين الدول المتقدمة وغيرها من سائر بلدان العالم .

وصَاحَبَ كل هذه التطورات انحسار أثر الدين والأخلاق القويمة فى المجتمع وانتشار موجة من الفساد الأخلاقى ، وطغت المادة على سلوك الأفراد ، كما قامت العلاقة بين الدول على أساس المصلحة الخاصة للدولة دون ما اعتبار لمصالح الدول الأخرى .

وقد انعكست آثار كل هذه التطورات على أوضاع دول العالم الثالث وأكثرها من البلاد الإسلامية مما يُهدد التراث الحضارى الإسلامى بأخطار عديدة .

ومن أجل ذلك دعا الأزهر الشريف ، ووزارة الأوقاف المصرية إلى عقد المؤتمر العام الثامن للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية حول

« الإسلام ومستقبل الحوار الحضارى »

فى مدينة القاهرة

بجمهورية مصر العربية

فى الفترة من

٨ - ١١ ربيع الأول ١٤١٧هـ

٢٤ - ٢٧ من يولية ١٩٩٦م

تحت رعاية

السيد الرئيس

محمد حسنى مبارك

رئيس جمهورية مصر العربية

وبرئاسة فضيلة الإمام الأكبر

شيخ الأزهر

الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى

والسيد وزير الأوقاف

ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

فضيلة الأستاذ الدكتور / محمود حمدى زقزوق

وبحضور قداسة البابا شنودة الثالث بطريرك الكنيسة القبطية بمصر .

ومندوب عن الفاتيكان وممثلى الطوائف المسيحية المختلفة فى مصر ، والمستشار الألمانى السابق هلموت شميت .

وشارك فى هذا المؤتمر ممثلون عن الدول والمنظمات والمؤسسات التالية :

(١) الأردن — (٢) الأرجنتين
(٣) أريتريا — (٤) أذربيجان
(٥) أفغانستان — (٦) ألبانيا
(٧) ألمانيا — (٨) الامارات العربية المتحدة
(٩) أندونيسيا — (١٠) أوغندة
(١١) أوزبكستان — (١٢) أوكرانيا
(١٣) إيطاليا — (١٤) باكستان
(١٥) البحرين — (١٦) البرازيل
(١٧) بريطانيا — (١٨) بلجيكا
(١٩) بنجلاديش — (٢٠) البوسنة والهرسك
(٢١) بنين — (٢٢) تركيا
(٢٣) تشاد — (٢٤) تنزانيا
(٢٥) توجو — (٢٦) تونس
(٢٧) الجابون — (٢٨) الجزائر
(٢٩) جيبوتى — (٣٠) زامبيا
(٣١) زيمبابوى — (٣٢) المملكة العربية السعودية

(٣٣) سيريلانكا (٣٤) سلطنة عمان
(٣٥) السنغال (٣٦) السودان
(٣٧) سوريا (٣٨) السويد
(٣٩)سيراليون (٤٠) سنغافورة
(٤١) الصين (٤٢) طادجيكستان
(٤٣) الفاتيكان (٤٤) فرنسا
(٤٥) فلسطين (٤٦) الفلبين
(٤٧) قطر (٤٨) كازاخستان
(٤٩) الكاميرون (٥٠) كندا
(٥١) كوت ديفوار (٥٢) كولومبيا
(٥٣) الكونغو (٥٤) الكويت
(٥٥) كينيا (٥٦) لبنان
(٥٧) ليبيا (٥٨) مالديف
(٥٩) ماليزيا (٦٠) مدغشقر
(٦١) مصر (٦٢) المغرب
(٦٣) مقدونيا (٦٤) موريتانيا
(٦٥) النرويج (٦٦) النمسا
(٦٧) نيجيريا (٦٨) الولايات المتحدة
(٦٩) اليابان (٧٠) اليمن
(٧١) اليونان (٧٢) جامعة الدول العربية
(٧٣) منظمة المؤتمر الإسلامى
(٧٤) مؤتمر العالم الإسلامى

(٧٥) رابطة العالم الإسلامى

(٧٦) المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإسيسكو) .

(٧٧) المجلس العالمى للدعوة والإغاثه .

(٧٨) جمعية الدعوة الإسلامية العالمية .

وقد أُفْتتح المؤتمر بكلمة من السيد الرئيس / محمد حسنى مبارك - رئيس جمهورية مصر العربية ألقاها نيابة عن سيادته الأستاذ الدكتور / محمود حمدى زقزوق - وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

وقرر المؤتمر اعتبارها من وثائقه . وتابع المؤتمر جلساته العامة ، وجلساته الفرعية ، حيث تُليتْ ونُوقشتْ البحوث المقدمة إليه وعددها (٥١) بحثاً تدور حول المحاور الآتية :

١ - حوار أم صراع .

٢ - الحوار بين الأديان .

٣ - الحوار والتطرف .

٤ - الإسلام والتعايش بين البشر .

وقد شكل المؤتمر لجنة لصياغة توصياته برئاسة الأستاذ الدكتور / صوفى أبو طالب ، وعضوية ممثلين عن الوفود المشاركة . لوضع مشروع التوصيات من واقع كلمة السيد / رئيس الجمهورية ، والبحوث التى طُرحت ، وما أسفرت عنه المناقشات .

وقد انتهت اللجنة إلى مشروع التوصيات التالية :-

١ - التأكيد على القيم المشتركة بين الحضارات وعلى

رأسها الإيمان بالله ونشْر الأخلاق الفاضلة ، وتكريم الإنسان ، والاعتراف بحقوقه وبصفة خاصة حرية العقيدة وقسيمتها حرية إقامة الشعائر الدينية ، وحقه فى المشاركة فى القرارات المصيرية التى تهم المجتمع الذى يعيش فيه ، وحقه فى حياة كريمة والحصول على نصيب عادل من ثروة بلاده .

٢ - التقريب بين الحضارات المختلفة بحيث يُكَمِّل بعضها البعض الآخر وتتفاعل فيما بينها لخير الإنسانية إذ أن التعدد هو سنة الله فى خلقه .

ويتم ذلك بالتأكيد على ضرورة الاعتراف المتبادل بين الحضارات وبين الديانات السماوية المختلفة حتى يكون الحوار بين أنداد متساوين ، ونبذ سياسة الاستعلاء الحضارى أو العنصرى أو الدينى .

٣ - يُؤكد المؤتمر على حقوق الشعوب فى الحفاظ على خصوصيتها الحضارية مع تعايشها مع الحضارات الأخرى ، فالجانب المادى فى الحضارة من مخترعات وعلوم مِلْك للبشرية جمعاء . ينتقل من حضارة إلى أخرى . أما الجانب المعنوى للحضارة ويتمثل فى لغتها وثقافتها الدينية والاجتماعية فإنه يمثل الهوية الخاصة بكل حضارة ومن حق كل شعب الحفاظ عليها .

٤ - يذكِّر المؤتمربأن الديانات السماوية تنكر العنف والإرهاب ، فلا يجوز إلصاق هذه التهمة بالإسلام ، كما لا يجوز الخلط بين ممارسة حق الدفاع المشروع ضد العدوان وهو حق أقرَّته

المواثيق الدولية للشعوب المقهورة ، أو المحتلة ، وبين الأعمال الإجرامية التى ترتكب بدافع التعصب الدينى أو التعصب العنصرى الذى يتستر برداء الدين .

٥ - يدين المؤتمر الأعمال الوحشية التى ترتكبها بعض الدول ضد بعض الشعوب الإسلامية التى تُدافع عن حقها فى تقرير مصيرها ، فمازالت الجهود المبذولة من قبل المجتمع الدولى وهيئاته ومنظماته قاصرة عن رفع المعاناة والظلم عن هذه الشعوب ، ويستحث المؤتمر الجهود بضرورة احترام الاتفاقات التى تنظم الأوضاع فى مناطق النزاع ، ويطالب المؤتمر بضرورة الالتزام ببنود اتفاقية دايتون بخصوص البوسنة والهرسك .

٦ - يدعو المؤتمر شعوب العالم للتصدِّى للإرهاب والتطرف وإزالة أسبابهما . ولعله يكون من المناســب أن يضع المجتمع الدولى نظاماً مقبولاً من الجميع يحقق التعاون فيما بين الدول لمكافحة الإرهاب واتخاذ تدابير جماعية للحيلولة دون وجود ملاذات آمنة ، أو دعْم مادى ، أو أدبى للأفراد والمنظمات الإرهابية .

٧ - يُؤكد المؤتمر على أهمية الحفاظ على التراث الثقافى الإسلامى ، والهوية الإسلامية ، واحترام الأحكام التى نادت بها الشريعة الإسلامية ، والتى تعطى الحق لأتباع الديانات السماوية الأخرى بتربية أبنائهم على معتقداتهم ، وإبراز القيم السامية المشتركة بين كل الديانات ، والتأكيد على تواصل

الحضارات والثقافات المختلفة والتعايش بينها . سواء فى ذلك ما يدرّس فى المدارس والجامعات فى البلاد العربية والإسلامية ، أو ما يدرس فى غيرها من البـلاد .

٨ - يُناشد المؤتمر القائمين على شئون التعليم بذْل المزيد من العناية والاهتمام بالتعليم ، وتاريخ الأمة الإسلامية واللغة العربية والتربية الوطنية ، وضرورة التنسيق بين برامج التعليم فيما بين البلاد الإسلامية بهدف تنمية الانتماء والولاء لأمتهم مما يمهد السبيل لحوار بناء مع الحضارات الأخرى .

٩ - التنسيق بين الجهود الحكومية وغير الحكومية التى تقوم على شئون الدعوة الإسلامية داخل البلاد الإسلامية وخارجها ، وبذل المزيد من الجهد فى تزويد المسلمين غير الناطقين باللغة العربية ، والأقليات الإسلامية خارج العالم الإسلامى بالصورة الصحيحة للإسلام وحضارته ،وترجمة ذلك إلى اللغات الأجنبية الرئيسية .

١٠ - يُناشد المؤتمر الدول الإسلامية وكل الهيئات والمنظمات التى تتولى شئون الدعوة الإسلامية بذل مزيد من الجهود لإعداد دُعاة مُلمين باللغات الأجنبية الرئيسية وقادرين على عرض مبادئ الإسلام الصحيحة وما يتضمنه من حلول لمشاكل العصر مع التركيز على التعايش السلمى بين الديانات والحضارات .

١١ - كما يُناشد الدول غير الإسلامية الكف عن نشر ثقافة الكراهية ضد الإسلام والمسلمين وعرض المفاهيم الإسلامية عرضاً أميناً دقيقاً .

١٢ - يبارك المؤتمر الخطوات الجادة التى اتخذتها كثير من البلاد الأوروبية وبعض دول أمريكا الشمالية والجنوبية فى التسليم بحق المسلمين بها فى التزود بالثقافة والحضارة الإسلامية ، وتعاليم الدين الإسلامى الصحيحة سواء فى المدارس الخاصة أو الحكومية ، أو فى المراكزالثقافية الإسلامية .

١٣ - ويناشد المؤتمر الدول الإسلامية أن تتخذ خطوات دبلوماسية لدى هذه الدول لتمكين المسلمين بها من ممارسة شعائرهم الدينية إعمالاً لحرية العقيدة ، وحرية ممارسة الشعائر الدينية التى تنص عليها دساتيرها ومواثيق حقوق الإنسان بأن يكون تعليم الإسلام وحضارته من بين المواد الدراسية فى المدارس الحكومية والتوفيق بين مقتضيات أعمالهم وأدائهم لشعائرهم الدينية .

١٤ - ويُناشد المؤتمر الدول غير الإسلامية بتمكين المسلمين بها من السير على هدى أحكام الشريعة الإسلامية . وبصفة خاصة فى مسائل الأحوال الشخصية من زواج وطلاق وخلافه أسوة بما هو متبع فى أكثر البلاد الإسلامية مع الأقليات الدينية من أهل الكتاب ، ويُعزز هذا الطلب تكاثر عدد الجاليات الإسلامية فى هذه البلاد وتمتع الكثيرين منهم بجنسية البلاد التى يعيشون فيها وقيامهم بأداء ضريبة الدم .

١٥ - ويُرحب المؤتمر بالجهود الجادة التى قامت بها بعض المؤسسات الرسمية والجمعيات الأهلية الإسلامية والمسيحية بوضع إطار عمل مشترك فى تأصيل الحوار بين الأديان واستمراره ، ويأتى على رأس هذه الهيئات :

(أ) لجنة التنسيق بين الأزهر والفاتيكان التى قامت فى شهر يونيو ١٩٩٦م .

وقد تبنت هذه اللجنة قرارات مؤتمر السربون المنعقد فى يونيه ١٩٩٤م الذى نظمه الاتحاد الدولى للأديان الثلاثة وتعليم السلام ، ومن أهم هذه القرارات : التأكيد على ضرورة إفساح المجال فى البلاد الغربية لعرض الإسلام فى صورته الصحيحة .

وقد بارك المؤتمر العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى العام الماضى أعمال هذا المؤتمر .

(ب) لجنة الاتصال الإسلامى الكاثوليكى المكونة من الأزهر الشريف ، ورابطة العالم الإسلامى ، والمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة ، ومؤتمر العالم الإسلامى ، ومنظمة المؤتمر الإسلامى ، وستة أشخاص من الجانب الكاثوليكى يعينهم الفاتيكان .

ويستحث المؤتمر هاتين اللجنتين وغيرهما مضاعفة الجهود فى سبيل تأكيد التعايش السلمى بين الديانات .

١٦ - يؤكد المؤتمر على الدور الرئيسى الذى تقوم به وسائل الإعلام المختلفة فى التقريب بين الشعوب والأديان والحضارات ، ويناشدها توخى الدقة والموضوعية ، والابتعاد عن الموضوعات التى تثيرالكراهية أو الاستعلاء بكافة صوره ، والتأكيد على مايُعزز المحبة والتآخى والتآلف بين مختلف الديانات والحضارات .

١٧ - يُناشد المؤتمر وسائل الإعلام فى البلاد الغربية التخلى عن سياسة الكراهية الثقافية والحضارية نحو الإسلام

والمسلمين ، وعدم الحكم على الإسلام والمسلمين من خلال التصرفات الفردية الشاذة التى لا يقرها الإسلام فى صورته الحقيقية السمحة .

١٨ - يُناشد المؤتمر الهيئات الحكومية وغير الحكومية فى الدول الإسلامية أن تدعم أجهزة الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية فى البلاد الغربية بشأن الأبواب والبرامج المخصصة للتعريف بالإسلام سواء بالدعم المادى أو بمدها بالمعلومات الصحيحة عن الإسلام .

١٩ - كما يُناشد المؤتمر البلاد الإسلامية تعزيز برامجها الثقافية التى تستهدف التعريف بالإسلام من خلال قنواتها الفضائية .

٢٠ - يهيب المؤتمر بالبلاد الإسلامية أن ترعى التنسيق بين برامج الأجهزة الإعلامية والثقافية ، ومناهج المؤسسات التربوية والدينية حتى تستقيم عمليات التنشئة الاجتماعية وخاصة بالنسبة للطفولة والشباب .

٢١ - من أهم القضايا التى تعكر صَفْوَ التعايش السلمى بين الشعوب ، وتقف حجر عثرة فى طريق التواصل الحضارى تعثر الجهود الدولية الرامية إلى حل المشكلة الفلسطينية حلاً جذرياً بما يحفظ أمْن شعوب المنطقة ، وحق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره .

ويرحب المؤتمر بالقرارات التى أسفر عنها مؤتمر القمة العربية الأخير بشأن القضية الفلسطينية ومستقبل القدس

الشريف ، ويشعر المؤتمر بقلق بالغ بسبب موقف الحكومة الإسرائيلية فيما يتعلق بحق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره وإقامة دولته واتخاذ القدس عاصمة له ، وإصرارها على تطبيع علاقتها مع البلاد العربية قبل إقرار السلام فى المنطقة .

ويهيب المؤتمر بالمجتمع الدولى أن يحرص على ضرورة تنفيذ القرارات الدولية المتعلقة بالقضية الفلسطينية ، ويؤكد على أن المقدسات الدينية بالقدس والخليل لا تهم الشعب الفلسطينى وحده ، بل هى مقدسات المسلمين فى سائر أنحاء العالم ، وهم لا يقبلون أى مساس بحقوقهم التاريخية ، كما يعتبرون إقامة المستوطنات إجراء غير شرعى يعترض مسيرة السلام ، ويتعين التوقف عنه .

٢٢ - يبارك المؤتمر الخطوات التى اتخذها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بإنشاء مركز للدراسات والموسوعات الإسلامية بهدف تجميع المعلومات وتبادلها بين الهيئات المعنية فى الداخل والخارج .

ويوصى بتزويده بالإمكانات المناسبة التى تُعينه على تحقيق هذه الرسالة .

٢٣ - يُؤكد المؤتمر على أهمية متابعة تنفيذ هذه التوصيات ، ودعم مسيرة الحوار بين الحضارات ، وتكليف الأمانة العامة للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بهذه المهمة ، ويدعو المؤتمر الدول المشاركة التعاون مع أمانة المجلس فى أداء مهمتها .

والله ولى التوفيــق ،،،،،

المحتـــويات

مطابع الأهرام بكورنيش النيل

ترقبوا فى العدد القادم

الاسلام فى مواجهة التحديات

لفضيلة الشيخ
عطية صقر



مطابع الأهرام بكورنيش النيل